روايات عبير



١٨

كاي ثورب

في مجاهل الرّغبة

١٢٢

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 122

في مجاهل الرغبة

بين البراري الأفريقية القاحلة في كابالا كانت سارة حرة طليقة تفعل ما تشاء. لا هم لها سوى التمتع بكسل ونعومة تحت شمس الأدغال، كالفراشة برية تنتظر القطف.

حتى ظهر ستيف يورك، الرجل الذي خبر الحياة بكل عنفوانها وجديتها ولا مجال لديه للاهتمام بصبية لاهية تعرض حياتها للخطر في كل يوم. علاقتهما شائكة كالمخالب، وسارة تتحداه كغزالة وحشية لا تقبل الترويض. حتى يظهر في حياتها دون، رجل المدينة الأنيق المجرب وفي صحبته، اخته دياتا. وتبدأ لعبة الحب...

انها فرصة، مليئة بأخطار مجهولة ربما اكثر من الأدغال...

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
MOON WITCH

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ - فتاة البراري

تمدد التمساح ونصفه غارق في الوحل فبدا كجزيرة مرقطة بالأخضر والأحمر الداكن، بحيث انسجم انسجاماً تاماً مع الوان الضفة وراءه. ولكن سرعان ما عادت اليه الحركة على وقع حصاة في الماء. فزحف الى الأمام يسحب في مؤخرته ذنباً صلباً تخال ان لا نهاية لطوله. واما سارة التي كانت ترمقه عن بعد، فقدرت طوله بست عشرة قدماً، كان اطول تمساح رأته في حياتها...

وانحدرت سارة بعيداً عن الموضع الواطىء الذي تحجبه ستارة من الاعشاب. واخذت تنفض بيدها التراب وما علق على قميصها وسروالها من نفايات الأرض. ثم جلست قليلاً تنظر بعيداً الى اعالي سفوح مارا الزرقاء اللون ومنها الى السهول الواسعة الممتدة الى

الجنوب. وكان المازيون يحرقون العشب مرة اخرى كأمر ضروري يسمح للكلأ ان ينبت من جديد. غير ان ذلك لم يكن يخلو من الخطر احياناً لقربه من الطريق. فقبل اسبوع اضطر والد سارة ان يعود الى مقر عمله عبر العشب المحترق فكاد الدخان يصيبه بالاختناق. اما اليوم فكانت الريح لحسن الطالع تهب من الجهة الاخرى.

وكان والدها في تلك اللحظة على متن طائرة متجهة الى انكلترا. ولولا وفاة اخيه الوحيد على حين غرة لما عاد الى بلاده. اما هي فلم يكن عمرها يزيد على الثامنة حين انتقلت عائلتها الى شرقي افريقيا. فهي لذلك لا تذكر الا القليل عن مسقط رأسها. وكان لدى العائلة رغبة في قضاء عطلة سنة هناك غير ان ذلك لم يخرج الى حيز التنفيذ. وبعد ان توفيت والدتها وهي في الثانية عشرة من عمرها لم يعد حتى لتلك الرغبة من وجود. ثم بلغ من اهتمام والدها بعلم الحياة في الحيوان والنبات انه احتل منصباً في مصلحة صيد الحيوان. وكانت سارة لا تزال على مقعد الدراسة حين اسندت الى والدها ادارة مركز كامبالا في المساحة المخصصة للصيد من مقاطعة مارا - مازاي. فكان على سارة ان تنتظر ستة اشهر قبل ان تتمكن من الالتحاق بوالدها.

وكانت سارة تبتسم كلما تذكرت تلك الأيام التي كانت لا تزال فيها طرية العود، غير مستعدة بعد لاستيعاب كل ما انطوت عليه الحياة هناك من خبرة وتجربة. اما الآن بعد مرور ثلاث سنوات على ذلك، فلا تزال تلك الحياة تأسرها، وان كان الرعب منها تحول الى تقدير. فالزمن في ذلك المكان زمن ضائع. والحس من الرهافة بحيث جعل كل مشهد وكل صوت على قدر من الشفافية لم تعرف له مثيلاً في اي مكان آخر. وخلال تلك السنوات الثلاث لم تقطع ذهاباً واياباً مسافة الاربعمئة ميل التي تفصلها عن نيروبي العاصمة الا مرة واحدة. ولم يكن لديها الرغبة ان تعاود الكرة الآن على الأقل. وارتضت ان تقضي ايامها في تلك الديار على هذه الوتيرة. . .

كانت الشمس تسرع الى المغيب وعلى سارة ان تعود الى منزلها. اخبرت تيد انها لن تغيب اكثر من ساعة، الا انه لا يقلق عليها اذا تأخرت في العودة قليلاً. فهو كوالدها يثق بأنها اصبحت تعرف كيف تتجنب المخاطر. . .

تناولت سارة البندقية الملقاة على العشب بجانبها ونهضت واقفة على قدميها. وكانت قد اوقفت سيارة اللاندروفر على طرف الغابة عند ضفة النهر. فسارت اليها عبر الطريق الضيق الذي دخلت منه. ثم مالت عنه بحذر الى الطريق العام. وسرها انها رأت ما جاءت لتراه، وهو ذلك التمساح الذي يعد اكبر التماسيح التي شاهدها كيماني حتى الآن، على الرغم من ان تيد يزعم انه رأى واحداً يقارب طوله العشرين قدماً.

واقبل في الطريق اثنان من المازيين العائدين الى القرية وهما يدوسان الأرض بخفة. فبادلتهما سارة تحية الود المعتادة ومرت بهما. وخطر لها ان تذهب الى القرية في الغد ايضاً لأن زوجة مغاري الثالثة لا بد ان تكون ولدت طفلها الخامس او ربما السادس على الرغم من انها لم تتجاوز مثلها التاسعة عشرة. وكان كيماني قد قال منذ بضعة ايام ان القبيلة ستفكر عما قريب بالرحيل مرة اخرى لأن المراعي في تلك الانحاء بدأت تنفد. ولم تكن سارة تريدها ان تنزح. ولكنها تدرك ان ذلك امر لا مناص منه. فقبيلة مازي من البدو الرحل. ولذلك كان من عادتها ان ترحل من مكان الى آخر طلباً للرزق والكلأ. وحين تفعل ذلك تترك اكواخها للخراب وتبني اكواخاً جديدة حيث يطيب لها المقام. كان هنالك على بعد عشرة اميال من السفوح اكواخ من هذا النوع عفا عليها الزمن قبل مجيء سارة.

كان الطريق العام يتشعب في آخره الى طريقين، واحد يتجه يميناً نحو السفوح والآخر يهبط ويصعد شمالاً فوق مرتفع واطىء نحو الغابة. واختارت سارة الطريق الثاني. فسارت فيه بحذر نظراً الى كثرة الجذور الظاهرة على سطح الأرض. وحدث لها مرة ان علقت

احدى عجلات عربتها في تلك الجذور فاضطرت الى الانتظار ساعة كاملة فيما قطيع من الأفيال يرعى على بعد مئتي قدم منها. على انها لم تشعر بالخطر يتهددها. ذلك ان الريح جرت كما تشتهي، والفيل كمعظم الحيوانات لا يتخوف من عربة واقفة لا تتحرك. كان امام سارة ساقية من الماء متفرعة من نهر مارا الذي كانت تراقب فيه ذلك التمساح. والطريق الذي اتخذته كان بمحاذاة الساقية على مسيرة بضع دقائق. ثم ينحرف الى الوراء ليدخل مرة ثانية في الغابة قبل ان يخرج الى متسع من الأرض يمتد صعداً الى جرف عال يحصن كامبالا من الوراء...

وحين شاهدت سارة مركز الادارة لأول مرة لم تعجب كثيراً ببيوته الخشبية المتفرقة ذات الشرفات العريضة الظليلة والأثاث العتيق. ومنذ ذلك الوقت لم يتغير الا القليل. فلم تزل البيوت هي نفسها. وكذلك السور المضروب حولها من الأسلاك الشائكة. اما المأوى الذي انشأته بمبادرتها الخاصة فلم يكن يضم آنئذ سوى غزال صغير وجده كيماني بجانب امه بعد ان فارقت الروح في الغابة على الأقل كان القصد من وراء ذلك. غير ان الغزال الصغير لم يلبث ان اخذ يتبع سارة كظلها حتى خيل اليها انه سيفضل الانضمام يوماً الى قردها كيكي كحيوان داجن على العيش في البرية...

وفيما هي غارقة في التفكير، وقد وصلت الى مقربة من البيت، ادركت فجأة ان سيارة اللاندروفر المتوقفة عند اسفل الدرج لم تكن من سيارات مركز الادارة، على الرغم مما ظهر على جانبها من كتابة تشير الى انها تخص مصلحة صيد الحيوان. فالمصلحة على ما يبدو، ارسلت من ينوب عن والدها في ادارة المركز الى ان يعود. وكانت سارة تتوقع ذلك وتأمل ان يكون الذي ينوب عنه هو بروس مادن الذي تعرفت اليه في نيروبي فأعجبت به...

كانت سارة وصلت الى منتصف الدرج حين سمعت صراخاً اوعبها. وبعد لحظة اطل كيكي من الباب وقفز الى حضنها. ثم اعتلى

كتفها وراح يداعب شعرها بيد ويضم علبة سكاير باليد الأخرى. ولحق به في الحال رجل بثياب العمل ما ان رأى سارة حتى وقف فجأة واخذ يحدق اليها بعينيه الرماديتين. ثم سألها قائلاً:

- هل انت ابنة ديف ماكدونلد؟

وكان في لهجته ما جعلها تشعر بقشعريرة. فأجابت:

- نعم. واذا كنت هنا لترى والدي، فهو قد سافر الى انكلترا البارحة.

فقال الرجل:

- اعرف ذلك. اما الذي لا افهمه فهو لماذا لم ترافقيه، خصوصاً وانه لم يذكر شيئاً عن بقائك هنا.

قالت له بهدوء:

- قررت ان لا اسافر. وانا لا اظن ان ابي رأى سبباً يجعله يخبر المكتب الرئيسي انني سأبقى في البيت. هل تنتظرون قدوم بروس مادن؟

فرفع حاجبيه ببطء وقال:

- كلا. اصيب بحمى الملاريا فدخل المستشفى. انا ستيف يورك.

والقى نظرة على السيارة التي ترجل منها منذ حين وقال لها:

- هل كنت في البرية وحدك؟

فأجابته:

- نعم. وهل في ذلك خطأ؟

قال ستيف:

- كل الخطأ. ففتاة في مثل سنك تعرض نفسها للخطر اذا هي اختلت تسرح وتمرح في منطقة الصيد. وعلى والدك ان يدرك ذلك. الا اذا كنت بعملك هذا اغتنمت فرصة غيابه.

- كلا. لم اغتنم اية فرصة. ثم انني لم اعد فتاة صغيرة.

قالت سارة ذلك وقلبها يزداد خفقاناً، اذ خشيت ان يكون عليها

وعلى العاملين في المركز ان يتحملوا هذا الرجل الذي ارسل ليحل مكان والدها لمدة ستة اسابيع. تفحصته من وراء جفونها فتبينت لها كتفاه العريضتان تحت قميصه الخشن، وصلابة جسده النحيل الطويل القامة وملامح وجهه الاسمر، وشعر رأسه الكستنائي المسرح. وتساءلت كم يكون له من العمر: ٣٢؟ ٣٣؟ فهو لا يمكن ان يكون اكبر من ذلك سناً، نظراً الى نبرة صوته الصارمة الحازمة. ولا ان يكون متقدماً في السن الى عمر يكتسب فيه الخبرة التي يمتلكها والدها وبروس مادن.

وادركت سارة فجأة انه هو ايضاً ينظر اليها كمن ينظر الى شيء ممتع. فشعرت بالاحمرار يصعد الى خديها. هل كانت افكارها وخواطرها من الوضوح بحيث سهل عليه ادراكها؟ على انها سارعت الى سؤاله قائلة:

- هل التقيت تيد ويليس؟

فأجابها ستيف:

- لم التق احداً بعد باستثناء الخادمين اللذين في منزلك. فلم يمض على قدومي اكثر من ساعة. ولكن لينك تخبريني اين الباقون؟

فقالت له سارة:

- كيماني نكوجي يطارد لصوصاً كانوا يصطادون خلسة في غابة الصيد الخاصة بالمركز. وقد اصطحب اربعة من الزملاء، واما الآخرون فهم يقومون بنوبة الحراسة. ولا بد ان يكون تيد هنا في مكان ما. فهو لا يترك المركز من دون خفير.

قال ستيف برقة ورصانة:

- هذا ما ارجوه. ويبدو لي ان الوضع كله هنا بحاجة الى تدقيق وانعام نظر.

رفعت سارة وجهها بحدة وقالت:

- هل لي ان ادخل الى البيت الآن بعد ان نطقت بهذه الخلاصة؟ فأنا عطشى وبحاجة الى شربة ماء بارد.

ومدت يدها وتناولت علبة السكاير من بين مخالب كيكي. ثم وضعت القرد على الشرفة قبل ان تستأنف صعودها اعلى الدرجات، وقالت لستيف:

- اظن ان هذه العلبة لك.

فأخذها ستيف منها قائلاً:

- شكراً.

ومرت سارة امامه ودخلت الى غرفة الجلوس الظليلة بأرضها الخشبية العارية وبسطها الجلدية المفروشة هنا وهناك. وبعد ان فكرت قليلاً تناولت بعض الزجاجات والكؤوس من الخزانة وسكبت قليلاً من شراب البرتقال. ثم اخذت جرعة كبيرة قبل ان تلتفت وتسأل ستيف ببرودة اذا كان يرغب في كأس من الشراب...

وكان ستيف قد تبعها الى الغرفة ووقف مستنداً الى كتف الباب. ويداه في جيب سرواله. فهز رأسه بالنفي وبادرها سائلاً:

- كم لك من العمر؟

فأجابته باختصار وقد ارتفع حاجباها السوداوان:

- تسع عشرة سنة.

- اصحيح هذا؟ كنت اظن انك لا تزيدين على السادسة عشر. ولكن لا فرق. فأنت لا تزالين غير مؤهلة للتجول في غابة الصيد من دون حراسة.

قالت له بنبرة لاذعة:

- اما كنت ترى غير هذا الرأي لو كنت صبياً؟

فرمقها بنظرة وابتسم قائلاً:

- ربما. ولكن هل انت في هذا المكان مدة طويلة؟

- ثلاث سنوات. وهي مدة كافية لأتعلم فيها ما يجب اوما لا يجب ان افعله هنا. فأنا قادرة كل القدرة على العناية بنفسي...

- وعلى العناية ايضاً بتلك البندقية التي تركتها في السيارة خارجاً... وكان يجب ان لا تتركيها؟

فبلغ الغيظ بسارة الى حد انها كادت ترفس نفسها وترفسه. نعم، نسيت البندقية في السيارة. ولا ينفع القول انها نسيتها لأول مرة في حياتها. فهو لن يصدقها. . .

وضعت كأس الشراب جانباً وقالت له:

ـ انت المعتني عنها. انني ذاهبة لأجلبها. . .

وحين عادت بالبندقية كان ستيف لا يزال واقفاً حيث كان. فمد يده وتناول البندقية واخذ يتفحصها مبتسماً. ثم اعادها الى سارة قائلاً:

ـ هل تحسنين استعمال البندقية جيداً؟

أجابته:

ـ الى حد ما. هل تريدني ان ابرهن لك؟

فهز رأسه قائلاً:

ـ لا لزوم لذلك.

وحدقت به قائلة:

ـ ماذا تعني تماماً بكلامك هذا؟

فأجابها برصانة:

ـ اعني انك لن تخرجي الى الغابة بعد الآن الا برفقة احد الحراس. وذلك طيلة وجودي هنا. فأنا مسؤول عنك بالنيابة عن والدك، ولكن بشروطي انا.

ـ لا احد يطلب منك ان تكون مسؤولاً عني. فقد تكون مكانتك عظيمة هناك حيث كنت، ولكنها هنا لا تعنيني في شيء. فأنا لست موظفة في مصلحة صيد الحيوان. ولي ملء الحرية في ان اذهب حيث اشاء!

نظر اليها ملياً قبل ان يقول لها:

ـ لا تحسبي هذا الحساب، فقد تكونين كملكة النحل هنا في نظرك ولكنك في نظري لست اكثر من مخلوقة يعوزها التهذيب والتأديب. والحق ليس عليك. اذا كان مسموحاً لك ان تتجولي في

السنوات الثلاث الماضية، فلا غرابة في ذلك. . . والآن هل تدلينني على غرفتي ونحن ننتظر عودة تيد؟

ـ يمكنك ان تجدها بنفسك!

قالت هذا الكلام بغضب شديد وخرجت مسرعة، فاصطدمت برجل كان يصعد الدرج وحيته بقولها:

ـ اهلاً وسهلاً الى القصر. . . الآن وصل اليه وليّ العهد!

وظهرت الدهشة على وجه تيد ويليس وهو ينظر الى ستيف من فوق كتف سارة. فسأله قائلاً:

ـ هل انت البديل؟ كنا بانتظار بروس مادن.

فأجابه ستيف بنبرة جافة:

ـ هذا ما ادركته. . . انا ستيف يورك، جئت لأكون البديل لأن مادن تعذر عليه المجيء. واذا صدق ظني فأنت تيد ويليس.

فأجابه تيد:

ـ نعم انا تيد ويليس، ويؤسفني اني لم اكن هنا لاستقبالك. كنت اتفحص المستودعات في المكان الخلفي، حيث لا يمكن دائماً سماع هدير السيارة.

فقال ستيف:

ـ يبدو كذلك.

وبعد قليل التفت الى سارة وقال لها بهدوء:

ـ كنت ستريني اين غرفة نومي، يا آنسة مكدونلد.

ترددت سارة وهي تنظر الى تيد. ثم استدارت لمواجهة ستيف. وكان ستيف قد سمع ما قالته لتيد على الدرج. فواجهها بعينين لهما لون الرصاص. ولم تحفل سارة بذلك. بل عزمت ان لا تسمح له بتخويفها. وقالت له:

ـ حسناً، سأريك غرفتك يا سيد يورك.

فصاح بها:

ـ انت لا تحتاجين الى البندقية فدعي تيد يحتفظ بها لك.

فتناولت البندقية الى تيد من دون ان تتفوه بكلمة، ثم مرت امام ستيف وعبرت غرفة الجلوس الى الباب البعيد. وكان وراءه خمسة ابواب تؤدي الى المشى. فتحت سارة الباب الثاني الى اليمين ووقفت متراجعة الى الوراء لتسمح لستيف بالمرور. وقالت له:

ـ هذه الغرفة اعتاد ان يشغلها والدي. وهي واسعة. والغرفة المجاورة لها هي غرفتي. كيماني يحتل الغرفة التي في الجانب المقابل، وتيد تلك التي قبالتها. واما غرفة الحمام ففي مؤخرة البيت.

وجال ستيف بنظره في ارجاء الغرفة باثاثها القليل، ثم قال لسارة:

ـ لا بأس. متى تتناولون الطعام عادة؟

ـ في الثامنة.

وكانت الساعة تشير الى الخامسة والنصف فاضافت قائلة ببرودة:

ـ بامكاني ان اهيء لك ما يسد رمقك الآن.

ـ مع السم، على ما اظن!

والتفت اليها قليلاً ثم اضاف:

ـ انظري. ستجد الأسابيع الستة التي سأقضيها هنا طويلة اذا كنت تنوين ان تستمري على تصرفاتك هذه. . . وانا لم يرق لي ان اجدك هنا اكثر مما راق لك ان تريني هنا بديلاً عن مادن. ولكن لا حيلة لنا في الامر. فعلينا ان نتحمله الى اقصى حد. وكل ما اطلبه منك هو قليل من التعاون.

فنظرت اليه سارة بقساوة وقالت:

ـ اهذا ما تسميه؟

أجابها بغيظ مكبوت:

ـ افعلي ما تشائين. ولكني ادرك ان هناك حدوداً لما اقدر ان احتمله من الفتيات الصغيرات اللواتي يبالغن في تقدير اهميتهن. ما دمت مسؤولاً عن العمل هنا فخير لك ان تفعلي ما آمرك به. هل هذا واضح كل الوضوح؟

ـ واضح كالبلور!

وقالت في نفسها وهي تغادر الغرفة. . . يا له من رجل بغيض! هو كسائر الطغاة الذين اذا اعطيتهم قليلاً من السلطة طارت عقولهم. لكنه سيرى انني لن اخضع له، وان الوقت حان لمن يوقفه عند حده.

ودخلت سارة غرفتها. وفيما هي تخرج من الخزانة سروالاً وقميصاً. حانت منها التفاتة الى المرآة فرأت الغبار يعلو خديها. لا بد انها تلوثت به وهي على ضفة النهر. وكان شعرها ايضاً غير منتظم، فلا عجب والحالة هذه ان يستخف بها ذلك الرجل ويحسبها فتاة صغيرة طائشة. وسمعت باب غرفته يفتح ووقع خطواته وهي تبتعد في المشى. ايكون ذاهباً الى مراقبة تفريغ سيارته من حمولتها؟ وتمنت ان لا يكون تيد في متناول اليد لمساعدته.

وفي الحمام اغتسلت وبدلت ثيابها وسرحت شعرها. ثم القت بثيابها الوسخة في السلة لتجدها في الغد نظيفة ومرتبة على سريرها. فالخادمان مازوي ونجوروجي كانا افضل من تولى الخدمة في المركز حتى الآن. وكم تمنت سارة ان تحتفظ بهما طويلاً، الا ان هذا التمني كان مشكوكاً فيه. ذلك لأن كامبالا كانت بعيدة جداً عن البلاد التي قدما منها ولم يكن اجرهما برغم ارتفاعه ليعوض معنوياً عن انعدام المواصلات بينها وبين ذويهما. فلم يبق لحل مشكلة فقدان الخدم الا اقناع المزويين انفسهم بمعاطاة هذه المهنة. غير ان النجاح في ذلك بدا ضئيلاً جداً لقلة اهتمام هؤلاء القوم بالاشياء التي تشترى بالمال. فثروتهم تقتصر على الماشية التي تزودهم بكل ما يحتاجون اليه. وفي ذلك كانوا اغنى شعب على وجه الأرض.

كان تيد يتفحص خزان الماء فاستندت سارة الى احد الاعمدة وراحت تراقبه، ثم قالت له:

ـ هل اسرفت في استعمال الماء؟

فابتسم تيد واجاب:

ـ انت دائماً تسرفين باستعمال الماء للاغتسال، شأنك في ذلك شأن سائر النساء. ليتك رأيت كيف كانوا يقتنون لنا الماء في ماضيات الأيام. . . لا اكثر من كوب واحد للاغتسال كل يوم. هذا اذا كان الواحد منا حسن الحظ.

فضحكت سارة وقالت:

ـ هذا ما تخبرني به دائماً. فلو كان نصفه صحيحاً لكان من العجب ان لا تشم رائحتك الحيوانات على مسافة ميل!

وكانت سارة تميل الى تبد ويلبس. وهو لم يكن في الواقع بكبر ابيها اكثر من بضع سنوات. غير ان قضاء معظم حياته في البرية رسم في وجهه من التجاعيد ما جعله اشبه بخريطة جبال هملايا. ففي صباه كان صياداً ماهراً، ثم بدأ نظره يضعف الى ان جاء وقت عجز فيه ان ينافس سائر منظمي رحلات الصيد هناك في تحديد مكان الطريدة لزبائنه. وكان في كامبالا حين قدمت سارة اليها، وكم انفق من الوقت في سرد الحكايات على مسامعها، وهي حكايات عن الأيام السالفة. الا ان سارة كانت تظن ان معظمها يعود الى عهود ابعد منها بكثير. وسألت تبد:

ـ هل عاد كيماني؟

فهز رأسه بالنفي واجاب:

ـ لعله ذهب الى اللودج.

ـ انت تشك اذن في انهم وجدوا شيئاً.

ـ نعم، اشك. هؤلاء الصيادون اللصوص الذين يعتدون على اراضي الآخرين لا تنقصهم المهارة ابداً. فهم يدخلون حدود الأراضي في الليل ويخرجون منها قبل طلوع الفجر. والطريقة الوحيدة للقبض عليهم هي ان نعرف المكان الذي يأوون اليه في النهار، ثم نكمن لهم عند رجوعهم في الصباح.

ـ وهل كل ما يهمهم هو قرن الكركدن؟

ـ نعم، والذين يدفعونهم للقيام بسرقته لا يبخلون عليهم بالثمن

الباهظ. على ان الربح الحقيقي هو من نصيب اولئك الذين لا يركبون اية مخاطر. ولو قام احد بجولة بين الذين يعتقدون ان المسحوق المستخلص من القرن يثير الشهوة، وافهمهم بالبراهين العلمية ان ذلك لا صحة له لأصبح سلعة تجارية كاسدة وزال من السوق.

والتفت الى سارة فرآها تضحك، فقال لها:

ـ لك ان تضحكي يا فتاتي الصغيرة، ولكن ما اقوله صحيح. فالتجارة عرض وطلب، فاذا زال الطلب زال العرض.

قالت له سارة:

ـ اني اصدقك. . . ولكن ما رأيك بالرجل الذي جاء بديلاً مؤقتاً لأبي؟

رفع تبد كتفيه واجاب:

ـ سترى. وهذا امر غير مهم. فهو لن يبقى هنا اكثر من ستة اسابيع.

فقالت سارة بكآبة:

ـ ولكني اشعر ان الأسابيع الستة ستكون بمثابة سنوات ست. فهو رجل متعجرف. حتى انه منعني ان اخرج الى البرية من دون حارس.

قال تبد بشيء من الدعابة:

ـ يا له من رجل شجاع. . . وماذا قلت له انت؟

فأجابت سارة:

ـ ماذا تظن اني قلت له؟ كنت دائماً. . .

وتوقفت عن الكلام قليلاً، ثم تابعت كلامها بعد ان رمقته بنظرة شك:

ـ انك لا توافقه على ذلك، اصحيح هذا؟

فاعترف تبد قائلاً:

ـ لا اظن ان فكرته سيئة. فمنذ سنتين وانا احاول ان اقنع بها

ديف. مهما احترست للأمر، يبقى هنالك بعض الخطر. فمن يضمن، مثلاً ان لا تعضك افعى؟

ـ في السيارة شراب ضد السم.

ـ قد لا تصلين اليه قبل فوات الأوان. فسم بعض الافاعي يفعل فعله في ثوان... وعلى افتراض ان هذا النوع من الخطر يمكن تفاديه، ماذا اذا هاجمك وحيد القرن؟ هل بامكانك ان تصديه بتلك البندقية الصغيرة التي تحملينها؟

ضربت سارة برجلها حجراً كان امامها وقالت:

ـ لم اقترب يوماً من مكان وجوده اقتراباً كافياً يعرضني للخطر... وعلى كل حال، كنت احسب انك ستقف الى جانبي.

ـ لم اعلم ان هنالك جانباً اقف اليه دون جانب. فاذا امر هذا الرجل ان يرافقك حارس عند خروجك الى البرية، عليك ان تطيعي. فهو الأمر الناهي هنا الى ان يعود والدك. والا كان يجب ان تذهبي معه اذا كنت غير مستعدة للقبول بذلك.

ـ لا اظن انه ارادني ان اذهب معه، لأنه لم يحاول جدياً ان يقنعني... فهل يا ترى كان يخشى ان اقرر البقاء في انكلترا؟

وفكر تيد ملياً ثم قال:

ـ هذا ممكن. فالبعيد عن العين بعيد عن القلب، كما يقول المثل.

ـ لن افارق هذا المكان. وابي يعرف شعوري هذا.

ـ شعورك هذا الآن هو شعور صادق، الا انه لم يتح لك في السنوات القليلة الاخيرة ان تقارني بين هنا وهناك.

فبادرته سارة بنظرة عاجلة وقالت له:

ـ ماذا تقصد بهذا الكلام يا تيد؟

ـ اقصد انه سيأتي يوم تطلبين فيه اكثر مما يستطيع هذا المكان ان يقدم لك، وعندئذ على والدك ان يجابه الواقع. كان عليه ان يتزوج مرة ثانية. فكم من امرأة كانت تتمنى ان تقبل به زوجاً لها!

ـ لم يشأ على الاطلاق ان يتزوج مرة ثانية. وهو سعيد في الحال التي

هو عليها. وانا كذلك.

نظر اليها تيد بدهاء وقال:

ـ اشك في ذلك. ولعل خير ما حدث لكما من زمن بعيد هو افتراقكما هذا لبضعة اسابيع. اذ يتيح لكما ان تدركا ان الذي ولد له هو ابنة لا ابن.

فحدقت اليه سارة بارتباك وقالت:

ـ ظننت انك صديق مخلص لوالدي!

ـ وانا كذلك. ولكن هذا لا يعني انه يجب ان اضع حجاباً على عيني وكمامة على فمي. نعم والدك ديف رجل طيب، ولكنه فيما يتعلق بك اناني كل الانانية. فقد علمك الرماية كصبي وجعلك تتصرفين وتفكرين كصبي ايضاً. وانا لا اذكر اخر مرة رأيتك فيها ترتدين فستاناً!

ـ ولماذا يجب ان ارتديه... السروال يريحني اكثر مما يريحني الفستان... انت لا تعي ما تقول... وانا لا اختلف عن اي فتاة من جيلي.

فقال تيد وقد جمدت الابتسامة ملامح وجهه:

ـ اصحيح هذا؟ دعينا نسأل ستيف يورك عن رأيه في هذا الشأن.

فأجابت بكبرياء:

ـ انا لا ابالي برأيه في اي شأن. وبما انك مصمم على النيل من شخصية والدي في غيابه حين لا يستطيع الدفاع عن نفسه، فلن اعارضك في شيء.

وسارت الى المطبخ ببرودة فدخلته وتحدثت قليلاً الى الخادم الافريقي هناك ثم تابعت السير الى غرفتها. وهناك، لأول مرة منذ سنوات وقفت امام المرآة وتفرست في صورتها وهي تضع يداً على شعرها القصير وتنفض اطرافه باصابعها. وادارت لسانها على شفتيها اللتين لا عهد لهما بالحمرة منذ زمن طويل، فيما اخذت ترتب طوق قميصها. وخيل اليها شيئاً فشيئاً ان تيد قد يكون على صواب. فهي

تبدو كصبي اكثر منها كفتاة. ولم تعلم لماذا ازعجها قليلاً ان تلرك ذلك، مع انها كانت مقتنعة ان لا فرق في ان تكون صبياً او فتاة. على انها مع ذلك عزمت ان ترفض تغيير هندامها وسلوكها لترضي تيد ويليس، او اي انسان آخر. فالسروال والشعر القصير اكثر ما يريح في تلك الديار. وهي اكتشفت ذلك في وقت مبكر لوصولها. ثم اذا كان والدها لا يبالي بمظهرها، فلماذا يبالي الآخرون؟

وسرعان ما خيم الليل كعادته. وفي السابعة دخلت سارة غرفة الجلوس فلم تجد احداً. وجلست تتصفح بعض المجلات لبضع دقائق، ولكن عقلها لم يكن قادراً على التركيز. وسرها ان يصعد كيماني نكوجي الى الغرفة للجلوس معها.

فقالت له وهو يمزج لنفسه كوباً من العصير:

- متى وصلت؟ لم اسمع هدير سيارتك.

أجابها:

- منذ نحو ساعة. ففي الساعة الرابعة توقفنا عن مطاردة اللصوص.

- اذن، فتعبكم ذهب عبثاً.

- لم نجد سوى بعض الحراب التي سقطت منهم. فهم اما خرجوا من المنطقة بكاملها واما اختبأوا آملين ان نعتقد ذلك.

- تيد يرى انهم يعبرون الحدود كل ليلة.

- انا لا ارى ذلك. على الأقل في هذه المرة الاخيرة. لأن الطريدة التي اصابوها كانت بعيدة جداً الى الداخل. وفي اعتقادي ان واحداً يتسلل راكباً عجلته عبر الحدود في الليل ويأخذ قرن الكركدن منهم. رأينا آثار عجلة في احد الأمكنة، ولكنها لا تؤدي الى مكان. ولعلها من مخلفات الجماعة الذين خيموا هناك في الاسبوع الفائت لمدة يومين.

- والآن، ماذا ستفعلون؟

- هذا يتوقف على المدير الجديد. وفي رأيي انه سيطبق القوانين

بحرفيتها. فقد امرني ان اعبر كل اهتمامي لوظيفتي المسندة الي، لا ان اقوم بوظيفة سواي.

ويبدو لسارة ان ستيف يورك كان على حق. ذلك ان كيماني يعمل في قسم الابحاث وواجباته منصوص عليها بوضوح، وهي ان يسجل التغييرات التي تطرأ على توزيع التجمعات الحيوانية في المنطقة. وقد مضى عليه هناك في مارا شهران، وربما بقي شهرين آخرين. والحق يقال ان مطاردة الصيادين المعتدين على مناطق الصيد الخاصة بالآخرين لم تكن من المهمات التي يتقاضى اجراً عنها.

وسألته سارة قائلة:

- ما رأيك في ستيف يورك؟

فأجاب برصانة:

- ولماذا يكون لي رأي فيه؟ هو هنا ليقوم بوظيفته كاي واحد مناسب. اما كيف يقوم بها، فهذا شأنه وشأن المصلحة التي ارسلته.

وقالت سارة متمتمة:

- ما لك وللمصلحة . . . فهي لا تقدم ولا تؤخر بالنسبة الى يورك الذي يتصرف في تأدية مهمته كيفما يشاء . . . ولولا العيب والحياء لتمنيت ان يكسر رقبته بين الآن وبين موعد تناول طعام العشاء.

فارتفع صوت من المدخل الآخر يقول:

- عبثاً . . . الجدران لها آذان.

فقفزت سارة واقفة تحت تأثير المفاجأة. ولكنها بادرت قائلة بسرعة خاطر:

- الذين يسترقون السمع نادراً ما يسمعون كلام المديح . . . وليس لك ان تتوقع مني كلمة اعتذار.

قال ستيف وهو يدخل الغرفة:

- هذا آخر شيء اتوقعه منك.

ثم سلم على كيماني مبتسماً وهو يمزج لنفسه كوباً من الشراب. ونظر الى سارة فتجاهلته وعادت تتصفح المجلة التي بين يديها.

وانتظرت منه ان يبدأ الكلام، ولكن دخول تيد حوّل انتباهه الى امور اخرى. وفي النصف ساعة التي تلت اخذ يلقي الاسئلة تباعاً على كيماني وتيد بخصوص سير العمل في المركز. وكانت الاسئلة ذكية من شأنها ان تجعله مطلعاً كل الاطلاع على الأوضاع باقل ما يمكن من المدة. فرجل من هذا النوع يعتقد دائماً ان اسلوبه في العمل هو افضل الاساليب. ولكن ذلك لا يصح دائماً بالضرورة. فوالدها ديف امضى في ادارة المركز اربع سنوات ولم تصدر من احد اية شكوى.

وفي الساعة الثامنة دخل مازوي يحمل الطعام، فوضعه على الطاولة وخرج وعلى وجهه امارات الكآبة والحزن. كان هو ونجوروجي اخوين، غير انهما كانا مختلفين احدهما عن الآخر اختلاف الليل والنهار. وكانت سارة تميل الى الاعتقاد ان الأول سيقنع الآخر بالعودة الى الوطن. فاذا تم ذلك لم يكن بوسع احد ان يقف في وجههما، وتصبح المشكلة مشكلة ايجاد احد يتكبد مشقة السفر الطويل لمرافقتهما الى مسقط رأسيهما في الجانب الآخر من ناروك.

وجلس ستيف يورك الى الطاولة في المقعد الذي كان يجلس عليه والدها، فبدا رجلاً ضخماً معتداً بنفسه طاغي الرجولة. وتناولت سارة طعامها بصمت وهي تستمع الى الحديث الدائر حولها من دون ان تحاول المشاركة فيه. وتطلع اليها تيد بتساؤ ل مرة او مرتين ولكنه لم يوجه اليها اية ملاحظة. على ان ستيف تجاهلها واعتبرها كأنها لم تكن موجودة هناك على الاطلاق. كان يركز اهتمامه على ما يخبره به كيماني عما لقيه في غضون الشهرين الأخيرين.

وقال ستيف لكيماني . . . وهما يرشفان القهوة على الشرفة بعدما تناولا الطعام:

ـ سأذهب في الصباح لأتابع آثار المعالم التي كنتم تتعقبونها اليوم. فاذا كنت على حق في قولك ان اللصوص يعبرون الحدود في الليل

لأخذ ما اصطاده عملاؤهم في الداخل، فان تلك المعالم تساعد على تحديد الموضع الذي يأوون اليه. ولكن قد يتبين انها من آثار تلك الجماعة التي ذكرت انها نصبت خيامها هناك منذ اسبوع. فما علينا الا ان نتأكد من ذلك.

ونظر الى سارة حيث كانت مستلقية على كرسيها وقال لها بلطف:

ـ هل بقي شيء من القهوة؟

فتجنبت على مضض ان ترفض طلبه. بل وقفت على قدميها وتناولت كوبه الفارغ وهي تبادله نظرة الند للند. اذا كان يظن انه يعيدها الى حجمها الطبيعي في النظام القائم هناك فهو مخطىء جداً. فغداً صباحاً سيجد الى اين وصلت به سعة حيلته في معاملتها. لقد وضعت خطتها لليوم التالي ولا تنوي تغييرها. . .

واجاب كيماني وتيد بالنفي حين سألتهما سارة اذا كانا يرغبان في فنجان آخر من القهوة. وحين ملأت فنجان ستيف اعادته اليه من دون ان تتفوه بكلمة. ثم نزلت الدرج واخذت تمشي في الظلام خارجاً كمن لا يعير اهتماماً لشيء.

وكان الغزال الصغير مضجعاً في المأوى الذي اقيم له في الزاوية البعيدة من الحظيرة. فرفع رأسه حين اقتربت اليه سارة ونظر اليها من دون خوف وانفه يرتجف. داعبته قليلاً وهي تفكر ان عليها ان تختار له اسماً عما قريب. ولم يكن من عادتها ان تداعبه، لاعتقادها ان مداعبة الحيوانات والعصافير الصغيرة التي تعتني بها تزيد في مرارة الفراق.

كان غناء الجداجد عالياً والنسيم مليء بالعبير المألوف. والأصوات في تلك الانحاء حتى وهي تدوي الى اميال بعيدة يبقى كلٌ منها منفصلاً ومعروفاً. استطاعت سارة ان تسمع طرطشة الماء آتياً من جهة بركة فرس النهر، فوق نهيق حمار الوحش بعيداً في السهل وعواء الضبع على مسافة اقل بعداً منه. وتذكرت سارة الرعب الذي استولى عليها في الليالي الأولى من اقامتها في تلك الديار حين كانت تضطجع

بغفلة وتحاول ان تعزو في ذهنها مختلف الصراخات والنداءات الى شيء حقيقي حي. ومن الغرابة انه كان في زئير الاسد عزاء لها. وما ذلك الا لأنها كانت تقدر ان تتبينه وتشخص صاحبه في مخيلتها. اما الذي كان يدب الذعر في قلبها فهو الصوت الذي تجهل صاحبه. ومع انها قضت بضع سنوات هناك، فهي لا تزال تجهل مصدر بعض الاصوات. الا ان الذعر قد زال منها، واصبح السكون هو الذي يثير اعصابها. . .

وشرع اسدان يتبادلان الزئير عبر النهر كما لو كانا يلبيان ما يجول في خاطرها. ثم سارع الى الانضمام اليهما اسدان آخران كان يسمع زئيرهما بوضوح من مكان ابعد. وقفز الغزال الصغير من الخوف فأخذت سارة تهدىء روعه بكلمات الرقة والحنان. وما ان فارقته حتى عاد الى النوم آمناً مطمئناً على الرغم من الأسود التي ظلت ترسل زئيرها كما في جوقة. وتساءلت سارة اذا كان احد الزوجين من الأسود ينتمي الى القطيع الذي شاهدته في السهل منذ يومين، فقد كان في القطيع نحو عشرين اسداً ومن بينهم بضعة من الاشبال من مختلف الأعمار. وكم ادهش سارة ان اللبوءات جميعاً كانت تفتخر باطعام اي شبل من تلك الاشبال بغض النظر عن انتمائها. تلك هي. . . في نظرها، الروح الجماعية الحقيقية التي تصدر عن غريزة لا عن تصور وتصميم.

وكانت سارة واقفة وظهرها مستند الى احد العواميد تستمع الى اصوات الليل حين احست بحضور شخص قربها. ولما التفتت وراءها رأت ستيف بورك واقفاً على مسافة بضعة امتار وهو يراقبها. ولم يكن المكان الذي وقفا فيه يتلقى نوراً من البيت فبدا ستيف في الظلام على جانب كبير من الضخامة، مما بعث في سارة شعوراً غريباً اثار اعصابها. وهكذا لجأت بغريزتها الى الهجوم فقالت له:

- هل من الضرورة ان تشملني برعايتك الأبوية هنا ايضاً في هذا المكان الأهل؟ ام ان لديك سبباً اخر حملك على ان تتبعني؟

فأجابها ستيف من دون ان يبدي حراكاً:

- اعندك فكرة عن السبب؟

فابتعدت سارة عن العمود ووقفت ويداها في جيبي سروالها. قالت:

- كيف يكون عندي اية فكرة؟ وعلى كل حال، متى جئت لتراقبني؟

فوضع سيكارة بين شفتيه واشعلها، ثم قال:

- جئت منذ نحو دقيقتين لأني اريد ان اتحدث اليك.

فنظرت اليه بازدراء وقالت:

- عن ماذا؟

- عنك.

قال ذلك وتوقف قليلاً. ثم نفخ حبلاً رفيعاً من دخان سيكارته قبل ان يتابع كلامه قائلاً:

- ان اختاً من جهلك تقيم مع بعض الأصدقاء في نيروبي. فهل تريدين ان تذهبي الى هناك وحدك لقضاء اسبوعين؟ ستبتهج اختي جيل برفقتك، كما ان التغيير يفيدك.

فقالت له سارة بغيظ:

- لا احتاج الى تغيير. واذا كنت تبحث عن طريقة تبعدني بها عن هذا المكان فلماذا لا تقول ذلك بصراحة؟

- انت على خطأ. وانا بكل اخلاص ارى انك بحاجة الى تغيير، فهو يفيدك.

- يبدو لي انك بحثت الأمر مع تيد.

- قليلاً. فالظروف استدعت ذلك.

- ولكنها غير استثنائية.

- الا تظنين انها استثنائية؟ متى لبست فستاناً لآخر مرة؟ او اطلت شعر رأسك؟ او استمعت الى حديث لم يكن بمجمله خاصاً بالرجال؟

- انا لا اكتفي بالاستماع الى الأحاديث بل اشارك فيها كالمعتاد.

اما شعري وثيابي فهي تلائم نوع الحياة التي اعيشها.

- اعرف ذلك. وهذه هي المسألة، كل المسألة. فملازمتك هذا المكان تحرمك جانباً اساسياً من نموك الطبيعي. انت بحاجة الى معاشرة الذين هم من جيلك، صبياناً وبنات على السواء. فقالت سارة بسخرية:

- والهدف من هذا كله، على ما اظن هو ان اجد لنفسي زوجاً اعيش معه حياة زوجية سعيدة!

انفرجت شفتا ستيف عن ابتسامة فاترة وقال:

- هناك ما هو اسوأ من ذلك!

- هل انت متزوج؟

- كلا. ولكن المسألة التي نحن بصددها لا تنطبق على الرجال.

- هل تقصد انه يجوز لك كرجل ان تكون فردياً بينما لا يجوز لي ذلك لكوني امرأة؟

فحدق ستيف اليها وقال:

- لم يتح لك الوقت الكافي لتعرفي ماذا تريدين ان تكوني. ففي وسعك ان تكوني على جانب كبير من الجمال يا سارة اذا توقفت عن لعب دور الفتاة القاسية. الا تفكرين ابداً انك بذلك تفقدين الكثير؟

- في هذه اللحظة لا ارى انني افقد شيئاً. وانا على يقين ان الآلاف يتمنون ان يحظوا باهتمام ستيف يورك بهم. انا لا اريد ان اذهب الى نيروبي، وانت لا تستطيع ان تجبرني.

فقال وقد بدا في نبرة صوته بعض الحدة:

- انا لم اقل اني استطيع ان اجبرك. والآن دعنا نتفاهم منذ البداية. اذا كنت ستبقين هنا في هذا المركز فعليك ان تتعلمي آداب السلوك كأي انسان بلغ سن الرشد. فقد طال الوقت الذي كنت تتصرفين فيه كصبية غريبة الأطوار. والآن حان لك ان تخضعي للعقل. وسيكون لدي من كثرة المشاغل ما يكفيني ولا يسمح لي ان اضيع وقتاً بالقلق عليك!

واتجه ستيف نحو البيت بينما اخذت سارة ترافقه بنظراتها وهي تقول في نفسها مهددة واعدة:

- الديه مشاغل كثيرة؟ ولكنه لم يبدأ بعد!

٢ ـ الأرض الذهبية

كان الفجر قد طلع حين استيقظت سارة من نومها، فنهضت من الفراش بسرعة وارتدت القميص والسروال اللذين كانت ترتديهما في الليلة الفائتة ثم لبست صدرية من الصوف فوق قميصها وأدخلت رجليها في حذاء قديم خاص بركوب الخيل.

وكانت السماء قد أصبحت زرقاء قاتمة حين خرجت من البيت، ورؤوس الاشجار ظهرت بلون الذهب في مواجهة شعاع الشمس المشرقة. وبدأت معالم الاشياء تتضح حولها وهي تتسلق قمة الجرف وراء البيت، والصخرة تحت أصابعها تزداد حرارة وتلوّناً. وتحرك شيء ما بين الشجيرات في أسفل الجرف. ولاح فراء منقّط بالأصفر ثم لم يلبث ان اختفى. لعلّه ضبع، فكرت سارة

في نفسها وهي تمسك جيدا بصندوق التليسكوب الذي تحمله على ظهرها. فغالباً ما كانت الضباع تجيء للتجول حول المركز، تجذبها الى ذلك رائحة الطعام. حتى ان اثنين منها شقا طريقهما مرة الى مخزن المؤونة. والدليل على ذلك ما أحدثاه من خراب في المخزن، فضلاً عمّا بان من أثر لدعساتهما عند طلوع الصباح...

وبلغت سارة الفجوة التي كانت تستهدف بلوغها. ثم قامت كعادتها بفحص المكان للاطمئنان الى ان لا وجود فيه للافاعي قبل ان تجلس وتسند ظهرها الى الصخرة. وهي غالباً ما قصدت هذا المكان في الصباح، لأنه مكان رائع تشاهد منه البراري التي أحبّتها. فوراء النهر بضفتيه الواقعتين عند طرف الغابة تمتدّ السهول الى ما لا نهاية. ولا يقطعها غير بيوت النمل الترابية والشجيرات المسطحة الرؤوس التي تحبّ الزرافات ان تقتات منها. وحين ينقشع غبش الليل عند طلوع الفجر والحرّ لا يكون قد كوّن ضبابه بعد، يمكنك ان تشاهد أقاصي الأرض.

وكان بوسع سارة ان تشاهد من هناك جميع انحاء المركز بما يشتمل عليه من مبانٍ. فرأت نيد يخرج من البيت ويبدأ قبل تناول طعام الفطور بفحص سيارة اللاند روفر التي تخصّ ستيف يورك. وبعد بضع دقائق خرج ستيف نفسه. وأخذ يتحدث الى نيد قبل ان يعودا معا الى داخل البيت. وتذكرت سارة كيف تبعها ستيف الى الخارج في الليلة الفائتة، فاضطربت أعصابها... كان لم يمض على مجيئه اكثر من اربع وعشرين ساعة ومع ذلك أفسد كل شيء. وتمنّت لو كان بروس مادن هو الذي جاء بديلاً عن والدها. بل يا ليت والدها لم يضطر الى القيام بتلك الرحلة. فهي لم تكن تحب التغيير، خصوصا اذا جاء على شاكلة الطاغية ستيف يورك!

والتفتت الى السهول لتلقي نظرة ثانية عليها لآخر مرة قبل ان تهبط المنحدر. رأت مختلف الحيوانات البرية ترعى هناك في أمان. وفجأة بدأت تتراكض على نحو يوحي التحفظ والحذر، لا الخوف

والذعر. . .

وحوّلت سارة نظارتي التليسكوب لترى السبب الحقيقي، فرأت تحركاً بين الشجيرات التي الى اليمين. وحين ركزت النظارتين أبصرت ثلاثة افريقيين بلباس رعاة قبيلة مازي يخرجون ببطء وحذر الى العراء. وكانت أشعة الشمس تلمع على البنادق التي يقبضون عليها في أيديهم. فتوقفوا وتحادثوا قليلاً، ثم رفع أحدهم يده نحو قمة المنحدر، كما لو كان يشير الى الطريق التي يجب ان يسلكوها. وبدا لسارة انهم كانوا يتجادلون، ثم لم يلبثوا أن رجعوا جميعاً الى حيث جاءوا.

وظنت سارة أنهم سيأخذون طريقهم حول محيط الارض المكشوفة مخافة ان يراهم أحد. فأسرعت الى الوقوف على قدميها ووضعت التليسكوب في صندوقه. لم يكن هؤلاء من المازيين، ما في ذلك أي ريب. كانوا قصار القامة، وبشرتهم قليلة السواد. وتساءلت اذا كانوا يعرفون كم هم قريبون من المركز، ولماذا يسيرون في مثل تلك الساعة. على ان هذا التساؤل لم يكن مجدياً في تلك اللحظة. فهنالك ما كان أجدى منه بكثير.

واستغرق نزولها هذه المرة ثلث الوقت المعتاد. وحين وصلت الى أسفل المنحدر هرعت الى المركز. فوجدت ستيف على الشرفة يدخن سيكارة ويراقبها وهي تقفز الحاجز وتتجه الى البيت. وما ان اقتربت منه حتى بادرها قائلاً:

- أين كنت؟

فأشارت سارة بيدها الى المنحدر وقالت:

- كنت هناك. . . والآن دعنا نرجىء الشروح والتفاسير ونعالج ما هو اهم. . . اظن انني رأيت اللصوص الذين تطاردونهم. . . أو سواهم، لا فرق.

فصاح ستيف قائلاً:

- أين؟

- تعال لأريك. ويجب أن نسرع لئلا نفقدهم.

وقفز ستيف فوق حاجز الشرفة الى حيث وقفت سارة. وبعد أن اصدر أمره الى الخادمين الافريقيين في المركز بالبقاء حيث هما، طلب من سارة ان تدلّه على الاتجاه الذي يجب ان يسير فيه.

فقالت له سارة:

- انت لا تعرف المنطقة كما اعرفها أنا. ولذلك فالوصول الى هناك يستغرق منك وقتاً طويلاً. وأقترح ان اذهب معك.

قال لها ستيف على مضض:

- حسناً. اصعدي الى السيارة.

فصعدت سارة الى السيارة وجلست في المقعد الامامي بعد ان حيّت بمرح الحارسين الجالسين في المقعد الخلفي. وأعطى ستيف بعض التعليمات لتيد، ثم جلس بجوارها وأطلق للسيارة العنان.

وبعد عشر دقائق وصلوا الى حيث رأت سارة الافريقيين الثلاثة. ثم صرفوا ست أو سبع دقائق للسير حول المرتفع الذى كانت سارة متأكدة ان اللصوص كانوا يقصدون اليه. وأوقف ستيف السيارة ورفع نظارتيه الى البعيد وأخذ يجول بنظره في كل ناحية. كان الحرّ بدأ يشتد ويجعل الرؤية غير صافية تماماً. ثم انه كان هنالك مئات الامكنة التي بوسع الافريقيين اللصوص ان يختبئوا فيها اذا كانوا سمعوا هدير السيارة. وأعلنت سارة عن شكّها في انه كان بامكانهم ان يسيروا الى أبعد من ذلك المكان في المدة التي انقضت. . .

وحانت منهم التفاتة فرأوا حركة بين الشجيرات الكثيفة بالقرب منهم. ثم لم يلبثوا ان شاهدوا رأس الكركدن بقرنه الضخم يخرج الى العراء. فلا بدّ انه أحسّ بوجودهم هناك. ولكنه كان قصير النظر بحيث لم يكن بوسعه ان يتبين ما يراه. اقترب منهم قليلاً وتوقف يفكر ماذا يعمل. واستبدّ به حب الاستطلاع، فترك الحذر جانباً وركض نحو السيارة. فأسرع ستيف الى مقعده وقاد السيارة بعنف الى اليمين. ونظرت سارة الى الوراء فرأت ان الكركدن يهمّ بالهجوم

ولكنه يتردد. اذ لم يلبث ان عاد الى مشيته الطبيعية وأحنى رأسه واتخذ يرعى. كان يصعب التكهن بتصرفاته، كما ان غباءه لا يصدّق. على ان هجمة منه كانت كافية لتحويل السيارة الى حطام.

وكانوا الآن قد وصلوا الى وسط النباتات الشائكة حيث انقطع هبوب الريح وساد السكون لولا صوت هدير السيارة. ولو كان اللصوص مختبئين هناك لكانوا في حال مزعجة حقاً...

وبلغت السيارة الى فسحة من الارض عبر اعشاب طويلة كثيفة في استطاعتها ان تخبيء مئة رجل.

وقال ستيف فجأة:

- من الأفضل ان نعود، فلا شيء هنا.

فرمقته سارة بنظرة عاجلة وقالت:

- أنا متأكدة اني رأيتهم يتجهون الى هنا... انت لا تصدّقني... هل تعتقد اني لفّقت الأمر تلفيقاً؟

أجابها ستيف بوجه عابس:

- لا اعلم ماذا اعتقد... حاولي اقناعي مرة اخرى!

فتطايرت عيناها شرراً وقالت له:

- لا وفقك الله... لك ان تعتقد ما تشاء... هذه هي آخر مرة...

قاطعها ستيف قائلاً بنبرة حادة:

- كفى!

وكان الحارسان الجالسان في المقعد الخلفي يصغيان الى كل كلمة ويبتسمان. عضّت سارة على شفتها وغرقت في مقعدها متناسية الذين يرافقونها...

وفي طريق العودة الى المركز لم ينطق أحد بكلمة. وقبل ان تتوقف السيارة امام الباب الخارجي قفزت سارة من السيارة وأخذت تصعد السلم. ولم تكد تصل الى وسطه حتى كان ستيف قد لحق بها وألقى يده على كتفها وأدارها نحوه قائلاً لها بخشونة:

- لا تقولي مثل هذا الكلام أمام رجالي مرة اخرى، وإلاّ أنزلت بك عقاباً لا تنسينه!

ففتحت سارة فمها ونظرت الى عينيه. ثم أطبقته بغتة واستأنفت صعود السلم. وعبرت الشرفة الى حيث مدت مائدة طعام الفطور، فوجدت تيد وكيماني جالسين وعلى وجهيهما ما يدل على انهما سمعا ما قاله لها ستيف على السلم. وتناولت سارة بغير مبالاة إبريق القهوة وسكبت لها فنجاناً. ثم أخذت قطعة من الخبز المحمص واتجهت نحو أقرب مقعد وجلست فيه. وحين وصل ستيف الى هناك وجدها تلتهم قطعة الخبز، كما لو كان ذلك كل ما يعنيها في الحياة.

وقال تيد لستيف وهو يجلس الى المائدة:

- هل توفقتم الى شيء؟

فأجابه ستيف:

- كلا!

ثم توجه بالكلام الى كيماني، فسأله اذا كان ينوي القيام بجولة تفتيشية بالطائرة. ولما أجابه بالايجاب، قال له:

- اذن أطلب اليك ان تأخذ سارة معك وتتركها في اللودج لقضاء بقية النهار هناك. فحين غادرت نيروبي صباح البارحة كان جماعة من الانكليز يستقلون الطائرة المتجهة الى هناك.

فقالت سارة:

- افضل البقاء هنا. شكراً!

ساد الصمت قليلاً، ثم قال ستيف:

- لا بأس. ولكن احرصي على ان تبقي هنا.

ولو لم يزد العبارة الأخيرة بنبرتها المتعمدة التي اثارت اعصابها لكان من المحتمل ان تغير رأيها وتذهب الى اللودج.

وفرغت سارة من طعامها من دون اسراع. ثم جلست لبضع دقائق تصغي الى ما كان يدور حولها من أحاديث. وبعد ذلك نهضت ومرّت من أمام الرجال الثلاثة، فرأت كيكي متعلّقاً بأحد غصون

الشجرة الوارفة التي تظلل ذلك الجانب من البيت. ولمّا رآها هبط على كتفها. ولم يكن تناول طعام فطوره بعد، فأخذته الى غرفة الجلوس وأعطته موزة من الصحن الذي كان على المائدة. ثم تركته هناك ليأكلها وخرجت لتتفقّد الغزال الصغير.

ولما وصلت الى الزريبة سمعت صوت محرك اللاند روفر يبدأ هديره. ولكنها لم تنظر اليه وهو يمرّ بها ويهبط الى الطريق مختفياً بين الاشجار.

وبعد حين غادر كيماني المكان الى المطار الصغير الخاص باللودج حيث كانت طائرة المركز الصغيرة. وكان كيماني ماهراً في قيادة طائرة. رافقته سارة عدة مرات فامتلأ قلبها بالبهجة والسرور. ومن الفضاء كان كيماني قادراً على ان يميّز الحيوانات التي وسمها من بين القطعان. وبذلك كان باستطاعته ان يرصد تحركاتها الى حدّ يكاد يكون بلوغه مستحيلاً فيما لو حاول ذلك وهو على الارض.

وفكرت سارة انها كانت تودّ ان ترافق كيماني في رحلته هذه المرة. ولكن الاوان قد فات الآن.

وعند خروجها من البيت وفي يدها بندقيتها كان نيد قد هيّأ احدى السيارات. فصعدت اليها وقالت لنيد مبتسمة:

ـ انا ذاهبة الى القرية. فاذا لم اعد قبل الغروب قل للمدير انني قررت قضاء الليلة مع الأهلين.

فأجابها نيد وقد تجهّم وجهه بغتة:

ـ أنت مسؤولة عن نفسك. . . هذا مع العلم ان ستيف هو الذي سيقلق لا أنت، اذا عاد ولم يجدك.

قالت سارة بحزم:

ـ فليكن!

وأدارت محرك السيارة قبل ان تترك لنيد فرصة الكلام.

وأخذت سارة نفس الطريق الذي أخذته في اليوم الفائت. فمرت بالمكان الذي راقبت فيه التمساح على ضفة النهر واجتازت قمة

المرتفع. وبالقرب من مطلع السفح وطرف الاعشاب المستطيلة رأت لبوءة وشبلين من أشبالها. فخففت سيرها لتشاهدها جيداً وهي واثقة أنها في مأمن. وتجاهلتها اللبوءة ونظرت الى الجهة الاخرى كمن لا يريد المجابهة. وكانت سارة تعلم انها لو وضعت رجلها على الارض لتغير مزاج اللبوءة في لحظة. فتابعت سيرها مسرورة ومكتفية بهذا المشهد العائلي الحميم. . .

كان الرعاة غادروا القرية مع مواشيهم قبل ان تصل الى هناك بوقت طويل. غير ان الحراس وقفوا على المدخل كعادتهم بقاماتهم الفارعة وحرابهم الطويلة وهم لا يبدون حراكاً كتماثيل من النحاس الاصفر. وكان وسط القرية مزدحماً بالناس، فألقوا عليها التحية من جميع الجهات بحرارة الاصدقاء. وكانت تحمل الحلوى فوزّعتها على الأولاد الذين تجمعوا حولها كالنحل على الخلية. . .

وكان مغاوي جالساً خارج كوخه كالعادة. فرفع رأسه بكبرياء حين رآها تقترب اليه. وكانت تحيّته اليها تليق بزعيم قبيلة لما كانت عليه من اللياقة والرصانة.

وجلست سارة الى جانبه للتحدث اليه قليلاً بلغة هي مزيج من السواحلي والمازي، الى ان يقرر استدعاء زوجاته للترحيب بها. وكانت سارة تدرك ان هذا القدر من اهتمامه بها امتياز لا يحظى به الا القليلون. ذلك ان زوجات المغاربين لا شأن لهن غالباً كأفراد في المجتمع. وكم يكون مستغرباً لو ان كيماني تغوجي عاش في هذه القرية كحارس، ربما كهؤلاء الحراس الذين على المدخل. على انه قفز فوق الزمن فتعلّم لغة الجنس الابيض وتلقى العلم في الجامعة، وحصل لنفسه على مكانة في العالم الواسع. ولكن هل هو أسعد حالاً يا ترى من أبناء قبيلته الذين لا يزالون يعيشون كما عاش اجدادهم من آلاف السنين؟ كان هؤلاء القوم مكتفين بأنفسهم، متكيفين مع بيئتهم، لا تزعجهم ما يزعج ابناء الحضارة المعاصرة من تناقضات وتشابكات. فهم من نواحٍ كثيرة يحمدون

على ما كانوا عليه.

وجاءت لاويتا بآخر طفل ولدته لتريه لسارة. كان صبياً لا يتجاوز عمره الاسبوع زيّن جسده النحاسي الصغير بخرز ملوّن ووَدَع. وحين أخذ يبكي وضعته امه على صدرها وقعدت على الارض بجانب سارة وهي تبتسم بحياء. كانت جميلة فملامحها منحوتة برقة وهدوء ورأسها المحلوق آية في الشكل. وكان حول عنقها قلائد من الخرز الملون كالذي على جسد طفلها. وعلى ذراعيها صفوف من الاساور. وكان مغاري يتقبلها بسعة صدر، اذ كانت على ما يظهر زوجته المفضّلة.

ومرّ وقت الظهر قبل ان تهمّ سارة بمغادرة القرية. وحين فعلت رافقها جمهور غفير الى السيارة حيث ودّعوها وداعاً حاراً. وشعرت بالسعادة والهناء وهي تنزل الى المكان الذي رات فيه اللبوة وشبليها. وهناك عزمت على ان تترك الطريق العام وتعبر السهل بعيداً عن المركز. وسرّها انها تذكرت هذه المرة ان تجلب معها قبعتها. فحتى سقف اللاندروفر لا يقي تماماً من حرّ الشمس في تلك الساعة من النهار.

وكان قطيع البقر الوحشي الافريقي الذي لمحته من على الجرف قد طار نحو مهل واحد. فمرّت به بسلام على بعد عشرين قدماً، واصبحت على بعد نحو ثلاثة أميال من المركز. وهناك وقعت احدى عجلات السيارة في حفرة. ولولا حسن الحظ لانقلبت بها. . . ولما عادت الى رشدها من هول الصدمة. حاولت ان تسوق السيارة الى الوراء للخروج من الحفرة. فنتج عن ذلك ارتفاع هدير المحرك ارتفاعاً جعلها تشك في ان السيارة أصيبت بعطل لا يمكنها بعد من الحراك. . .

جلست سارة وقتاً طويلاً تفكر في ما يمكن لها عمله. وكان السكون يسود السهول فلا يقطعه سوى أصوات بعض الحيوانات هنا وهناك، وخصوصاً من جهة النهر. ففي ذلك الوقت من النهار

اعتادت الحيوانات على الخلود الى الراحة في ظلال الشجر بانتظار برودة المساء. وشعرت سارة بالوحشة القاتلة والعجز التام. فمنذ ان بدأت تقود السيارة لم يحصل لها مثل هذا الحادث الذي جاء في غير وقته تماماً. على انها لم تفكر على الاطلاق في ماذا يمكن ان يقوله او يفعله ستيف بورك عندما يكتشف أمرها.

وفي آخر الامر كان عليها ان تفعل شيئاً. فرأت ان تتصل بتيد في المركز للمجيء الى مساعدتها. أدارت آلة الارسال على أمل ان يكون احد على مقربة منها ليسمع نداء استغاثتها. وحين جاءها الرد لم يكن من المركز، بل من ستيف بورك نفسه وهو في سيارته، في مكان ما بين لادعال. سألها:

- أين انت؟

من دون اية مقدمة. فتنهدت قبل ان تجيب، وعزمت على ان تبتّ الأمر معه عاجلاً ودون تأخير. فقالت:

- أنا على بعد ثلاثة اميال من المركز، وعجلة السيارة الامامية وقعت في حفرة. ويبدو لي ان كرسي المقود أصابه عطل.

فقال لها ستيف في الحال:

- هل أصابك أذى؟

- كلا.

- اذن انتظري في مكانك. نحن على بعد خمسة عشر ميلاً. وسنصل في غضون أربعين دقيقة. دعي آلة الارسال مفتوحة ولا تخرجي من السيارة. هل تسمعينني جيداً؟

- لماذا تأتي انت؟ الا يكون من الاسرع ان يأتي تيد من المركز؟

ولم يقبل ستيف طلبها، فقال:

- دور تيد سيأتي فيما بعد. الى اللقاء.

وشعرت سارة ان وقت الانتظار يمرّ ببطء. كان ظهرها على مسند السيارة فيما قميصها مبلل بالعرق. فبدون النسيم الذي تحركه السيارة في سيرها تصبح كالأتون في مثل ذلك الوقت من النهار.

وتاقت سارة الى الجلوس في ظل احدى الاشجار المجاورة. ولكنها خشيت ان يشاركها في ذلك قطيع من الأسود، او حتى فهد واحد يشعر بالوحشة. تلك مجازفة لا يقوم بها سوى المجانين.

ولم تسمع صوت ستيف في آلة الارسال مرة ثانية. فاعتبرت سارة انه لا بد ان يكون في طريقه اليها. وتمنّت لو انه يصل سريعاً. فأي كلام يمكن ان يقوله عند وصوله يبقى أفضل من ذلك الانتظار الذي لا نهاية له.

وفجأة شاهدت اللاند روفر مقبلاً نحوها وهو على بعد ميلين أو اكثر. وهكذا صدق ستيف في كلامه انه سيكون هناك في غضون اربعين دقيقة. وانتظرت الى ان اقتربت السيارة الى مرمى حجر منها، فنزلت من سيارتها واستلقت على العشب.

وأوقف ستيف سيارته عند وصوله ونزل منها. وبعد ان رمى سارة بنظرة صارمة. أقبل على مقدمة السيارة واستلقى تحتها يتفحص عجلتها الواقعة في الحفرة. ولما نهض على قدميه اسرع الى معالجة الامر من غير ابطاء. فجلب حبلاً من صندوق سيارته وربط به مقدمة السيارة الاخرى. ثم جرّها خارج الحفرة. وبما انها كانت ذات عجلات أربع كان بالامكان قيادتها ولكن ببطء وحذر. وبعد ان امر ستيف الحارسين الافريقيين اللذين يرافقانه ان يتعاونا على ايصال السيارة الى المركز، ركز اهتمامه على سارة فقال لها:

ـ اصعدي الى سيارتي.

فصعدت سارة من دون تردد، لأنها شعرت بأنها امّا ان تطيع واما ان تقع في مأزق مع ستيف لا يكون لصالحها. وجلست بصمت الى جانبه في السيارة فيما يتجهان نحو المركز، والمخاوف تساورها مما سيحدث حالما يصلان الى هناك. وقالت سارة في نفسها انه لا يتجرأ ان يقسو عليها، لأن والدها لن يرضى عن ذلك. ولكن والدها كان الآن في انكلترا على مسافة آلاف الاميال.

وكان تيد لا يزال يصلح احدى السيارات عندما وصلا الى المركز.

فوقف منتصباً بعد ان كان منحنياً يتفحص المحرك. وقال:

ـ ماذا جرى؟

فأجاب ستيف باقتضاب:

ـ ما فيه الكفاية. . . ارجو ان يكون في المستودع قطع غيار. . . يجب ان اتحدث اليك بعد ان أعالج قضية أميرة الغابات هذه.

وكانت يده على ذراعها وأصابعه تحفر عميقاً في لحمها. ثم تابع كلامه معاتباً تيد:

ـ كان في وسعك ان تراقب تصرفات فتاة تافهة كهذه الفتاة!

ولم ينتظر جواب تيد. بل دفع سارة امامه الى المنزل. حيث أجلسها في كرسي وأغلق الباب وراءه. ثم وقف وأسند ظهره الى الباب وحدق اليها بنظرة شرسة وقال:

ـ لو كنت أصغر سناً بسنتين لكسرت رأسك. هذا مع العلم ان هنالك ما يغريني على ان أفعل ذلك الآن!

فقالت:

ـ تلك كانت حادثة طارئة. . . ويمكن لها ان تقع لأي كان!

قال موافقاً:

ـ هذا صحيح. ولكنها لم تكن لتقع لك لو بقيت هنا في المركز.

ووضع يديه في جيبه كأنه كان يخشى ان يستعملها لغرض آخر. ثم تابع كلامه قائلاً:

ـ مشكلتك يا بنيّتي انك لا تبالين على الاطلاق بما هو خارج مصلحتك. فأنت فتاة فاسدة مفسدة، تتمخترين هنا وهناك كالطاووس، يملأك الاعتزاز بنفسك الى حد يحول بينك وبين ادراك ما انت عليه في الحقيقة. وهي انك جعلت من نفسك فتاة عنيدة مغرورة. فقد كان في وسعك حين شرعت بالخروج من المركز ان تصطحبي احد الحراس. ولكن ذلك يكون في نظرك خضوعاً لما أمرتك به! فأنت سارة مكدونلد، وهيهات ان تفعلي شيئاً بالاكراه! . . .

وتوقف قليلاً عن الكلام، ثم قال بخشونة:

ـ في الليلة الفائتة أخبرتك بعزمي على ارسالك الى نيروبي لقضاء بضعة اسابيع مع اختي. هذا على الرغم من انني اشك في انك ستتصرفين كما ينتظر من كل ضيف ان يتصرف... وأبوك يحمل تبعة كل ما انت عليه.

واستدار نحو الباب وقال بعد ان فتحه:

ـ سأتركك تفكرين في الأمر... انما ابتعدي عني طيلة ما تبقى من النهار اذا كنت تدركين ما هو خير لك!

وتكومت سارة في كرسيها بعد ان اغلق الباب. وشعرت بحاجة الى البكاء. أيكون ان الناس جميعاً ينظرون اليها كما ينظر ستيف... أي فتاة طائشة لا خير فيها؟ وهو الذي لم تمض على معرفته بها اكثر من أربع وعشرين ساعة. وكم آلمها هذا الشعور بكراهية الآخرين لها. ولكن ماذا كانت تنتظر غير ذلك؟ فهي منذ ان وطأت قدمها ستيف أرض المركز وهي تتحدّاه على مسمع ومشهد مرؤوسيه في العمل.

وكان تيد على درجات السلم يدخن سيكارة حين استعادت سارة رباطة جأشها الى حدٍّ يسمح لها بمواجهة الآخرين. ونظر اليها تيد وهزّ رأسه قائلاً لها:

ـ انت تظهرين كمن داست عليه محدلة!

فسألته قائلة:

ـ هل سمعت ما قاله لي؟

أجابها:

ـ سمعت معظمه. لم أستطع ان اقاوم رغبتي في سماعه.

وهزّ رأسه مرة ثانية وقال مداعباً:

ـ نالني نصيب من التأنيب لأني سمحت لك بأخذ السيارة!

فأعلنت له عن اعتذارها. ثم قالت له بعد تردّد:

ـ هل أنا في الحقيقة سيئة الى هذا الحد؟ أعني هل ان ما اتهمني به

ستيف صحيح؟

فأجابها تيد:

ـ هو صحيح من بعض الوجوه، ولكن فيه على العموم بعض التطرف.

نظر اليها نظرة ودٍّ وحنان، وقال لها:

ـ خصال حميدة جداً يا صغيرتي سارة. وكل ما تحتاجين اليه هو تشذيب بعض الجوانب الحادّة من تلك الخصال، ولكن بلطافة ورفق...

فأحاطت سارة بذراعها العمود المنتصب عند الزاوية ووضعت خدها على خشبه الخشن. ولم تكن تدري تماماً كيف كانت تشعر في تلك اللحظة. وكأنما كان في داخلها فراغ مليء بعلامة سؤال. طوال حياتها لم يطلب منها أحد ان تقف وتنظر الى نفسها. ثم ان ستيف كان على حق في قوله انها لم تكن تفكر، بل تنفعل. وهكذا كان موقفها منه.

وقالت لتيد بعد حين:

ـ هل ذكر شيئاً يتعلق باللصوص؟

فرمقها بنظرة وقال:

ـ أكتفى بالقول انه هو ومرافقيه اضاعوا معالم آثارهم قبلما سمع نداءك. وكان في طريقه عائداً الى المركز... هل حقاً رأيت اولئك اللصوص هذا الصباح؟

أجابت بالايجاب، فقال تيد:

ـ ما لا استطيع ان افهمه هو لماذا جازفوا، فلم يبالوا بأن يراهم احد في وضح النهار. ثم انهم يعرفون ولا شك ان المركز على مقربة منهم.

فقالت سارة وعلى وجهها امارات التأمل والتفكير:

ـ اظن انهم كانوا يفتشون عن مكان ملائم يختبئون فيه ذلك النهار. وانا متأكدة انهم كانوا متجهين صوب السهول.

ورفعت رأسها فجأة وقالت لتيد:

ـ الا تذكر في السنة الماضية حين اخبرتك انت وأبي بأني رأيت نمراً عند رأس المنحدر، فقلتما لي ان ما رأيته كان قطة بريّة؟

فنظر اليها متسائلاً:

ـ نعم أذكر. لماذا؟

ـ في هذا الربيع صدف اني وجدت ما اعتقد انه عرين ذلك النمر. هناك كهف صغير في الجهة البعيدة عند آخر المنحدر، وهو مغطى بالأشواك ومن الصعب العثور عليه. وقد يكون ان اللصوص عثروا عليه هذا الصباح. فاذا كانوا مختبئين فيه عندما مررنا من هناك، فذلك يفسّر لماذا اختفوا من دون أثر. . . الا تظن ذلك؟

قال تيد وكأنه لم يقتنع تماماً:

ـ هذا ممكن. هل ذكرت ذلك لستيف هذا الصباح؟

فقالت سارة:

ـ الآن تذكرت هذا الأمر. . . وعليّ ان أخبر ستيف به الآن قبل فوات الأوان. لأنهم مجبرون على ان يغادروه الليلة حالما يصبح ذلك آمناً.

وكان ستيف يتحدث الى بعض الحراس حين مشت سارة حول زاوية المنزل. فلما رآها مقبلة نحوه توقف عن الحديث ونظر اليها وعلى وجهه امارات التساؤل. قالت له سارة:

ـ أتسمح لي ان اكلّمك؟

فاضطربت شفتاه ولكنه ضبط اعصابه بسرعة وقال لها:

ـ ماذا تريدين ان تقولي؟

فبادرته بالقول:

ـ اريد ان اخبرك شيئاً بشأن اللصوص.

حدّق اليها طويلاً قبل ان يسمح لها بالكلام، ثم قال:

ليكن ذلك باختصار. .

لما اخبرته عن فكرتها قال لها والاهتمام بادٍ على وجهه:

ـ تقولين ان الكهف في الجهة البعيدة. فكم هو البعد، وكيف نجد الكهف؟

وكانت قد فطنت الى ذلك، فقالت:

ـ هناك علامة تمكنكم من ايجاد الكهف، وهي ان امام المدخل شجرة يابسة. اما المدخل فهو على بعد نحو ربع ميل من المكان الذي وقفنا فيه هذا الصباح. فاذا احسّوا بمجيئكم وحاولوا الهرب تستطيعون ان تبصروهم.

قال ستيف:

ـ نعم، اذا كانوا بالفعل هناك!

وبدا من كلامه انه لم يكن مقتنعاً تمام الاقتناع. ولكنه أمر اثنين من الحراس ان يذهبا ويجلبا البنادق. ثم التفت الى سارة وقال لها:

ـ وأنت. . .

فقاطعته قائلة:

ـ اعرف ماذا تريد ان تقول. نعم، سأبقى هنا.

وذهب الثلاثة ثم عادوا بعد نحو ساعة. وسمعت سارة هدير سيارتهم فهرعت الى استقبالهم. ونزل ستيف من السيارة. وبعد ان اعطى تعليماته لمرافقيه الاثنين تقدّم الى سارة وقال لها:

ـ كنت على صواب بخصوص الكهف. لا ريب ان الرجال كانوا مختبئين هناك. ولكنهم هربوا بعدما غادرنا المكان هذا الصباح. . . ليتك تذكرت الكهف في ذلك الوقت!

وقال تيد:

ـ يخيّل الي انهم لم يتركوا اثراً ذا شأن.

ـ لا شيء على الاطلاق. كانوا شديدي الحذر. ولعلهم يختبئون الآن في ملجأ ما.

ـ اتعتقد انهم سيجازفون فيتابعون الصيد أيضاً في هذه المنطقة؟

ـ هذا ممكن. فمع حلول الظلام يكونون قد استراحوا جيداً وأصبحوا في وضع يمكنهم على الأقل من المحاولة. وبعد

الغداء سأذهب مع بعض الحراس في جولة حول المنطقة. فاذا لم نقبض عليهم ربما نخيفهم فيهربون ولو الى حين.

ثم اقترب ستيف من تيد قليلاً وقال له:

- ما رأيك بكأس من الشراب؟

فأجابه تيد:

- فكرة حسنة.

وصعد ستيف السلم الى الشرفة ليجلب الشراب. فلما رأى سارة تخرج من الداخل اضاف كأساً ثالثاً وناداها ان تشاركهما قائلاً:

- هل لك بكأس من عصير البرتقال؟

وتناولت سارة الكأس من يده وقالت:

- اذن، هل اصبح مسموحاً لي ان انضمّ الى البالغين سنّ الرشد؟

فقال لها ستيف:

- نعم، ما دمت تتصرفين مثلهم.

وجلس على مقعد وأخذ ينظر اليها متأملاً. ثم قال لها:

- ليتني اعرف ماذا يجول الآن في خاطرك من افكار بريئة؟

فقالت له:

- ظننت انك تعرف كل شيء عني يا سيد يورك!

قال لها بهدوء:

- كنت محقاً معك الى حدّ. ولكن يجب ان تعترفي ان لديّ ما يبرّر ذلك!

- انا لم أقل ان لا مبرر لديك.

وتذكرت ما قاله لها تيد، فتابعت كلامها بخبث:

- ولكن لا تنس ان للشيء ربما جوانب متعددة، لا جانباً واحداً!

فضحك وقال لها:

- يا لك من فتاة غامضة.

فردّت عليه قائلة:

- ولذلك يساء فهمي... ولكن اياك ان تفرض وصايتك عليّ،

فأنا لم اعد فتاة صغيرة.

قال:

- نعم، صغيرة بما يكفي ان تجعليني اشعر بالعياء... ثم ان المسألة ليست مسألة سنين... وفي يوم من الأيام ستدركين ما اتحدث عنه.

- اي عندما اقوم بكل تلك الاعمال التي انا محرومة منها الآن... ولكن قد لا اكون محرومة بهذا المقدار كما تظن.

والتفتت الى تيد قائلة:

- السيد يورك يشعر بالعياء، وانت بماذا تشعر يا تيد؟

فأجابها تيد:

- اشعر بقدر كاف من السعادة، ربما لبضع دقائق لا اكثر...

ورفع كأسه وقال:

- بالصحة والهناء!

قال ستيف لسارة:

- اذا خاطبتني مرة اخرى بلقب سيد، فسأحرمك من عصير البرتقال هذا الذي تشربينه...

ثم أضاف قائلاً:

- متى يعود كيماني عادة؟

فأجابته سارة:

- يعود عادة قبل حلول الظلام... هل تنوي ان تأخذه معك هذه الليلة؟

- كلا.

ثم أضاف:

- لن آخذ احداً معي في جولتي التفتيشية هذه الليلة.

فقالت له سارة وهي تنظر الى كأسها المليء بعصير البرتقال:

- الا تحاول ان تغض النظر أحياناً؟

فأجابها:

- كلا، عندما يؤخذ ذلك على محمل الضعف. . . والعادة لا تنسى بسهولة. . . وأنا بطبيعتي من المشككين.

فشربت كأسها حتى الثمالة وقالت:

- انا اعرف ذلك. . . وأعدك أني سأعمل بموجب القوانين. والآن هل تأذن لي بالانصراف؟

فلمعت عيناه وهو يجيبها قائلاً:

- لا تغتري كثيراً. فأنا سأبقى في هذا المركز بعض الوقت.

وفكرت سارة وهي تعود الى البيت انه لو قال هذا الكلام منذ بضع ساعات لانزعجت كثيراً. وهذا دليل على ان هنالك مختلف الوسائل للتعامل بنجاح حتى مع رجل كستيف بورك، اذا تم ذلك بعناية وحذر.

وبدا الليل لسارة طويلاً على غير عادته، بعد ان غادر ستيف المركز للقيام بجولته التفتيشية. وامضت معظم الليل على الشرفة تفكر بالرجال الذين كانوا في السهول. وتمنت لو انها كانت تشاركهم في التفتيش عن اللصوص. ولو كان والدها موجوداً هناك لما تركها في البيت، بل لاصطحبها معه. ذلك لأنه كان يعرفها ويثق بها اكثر من ستيف.

وتساءلت عما هو عليه حال والدها الآن في انكلترا. فلو ان العم جيفري ترك وصية لبعد عامل ليسهل الأمر كثيراً ولتمكن والدها من انهاء مهمته هناك والعودة بعد ايام. ولكنه لم يترك اية وصية، ولذلك توجّب على والدها، بوصفه الأقرب اليه نسباً، ان يبقى في انكلترا الى ان ينهي توقيع جميع الوثائق الخاصة بمثل تلك المناسبة.

وشعرت سارة بالقلق وهي تنظر الى كيماني نكوجي الجالس الى الطاولة يكتب رسالة الى والديه اللذين كانا يسكنان في موماسا ولم يكن يتاح له رؤيتهما كثيراً. ولكنه استعاض عن ذلك بكتابة رسالة اسبوعية اليهما من دون انقطاع.

وقالت له فجأة:

- هل انت عاشق يا كيماني؟

فنظر اليها مبتسماً واجاب:

- كلا. لم يكن لي متسع من الوقت للعشق.

فقالت له:

- ولكنك في الثانية والعشرين الآن، ولا اعتقد انك ستبقى على هذه الحال طول حياتك. الا تفكر في ذلك؟

أجاب:

- افكر بذلك من حين الى آخر، ولكن من دون استعجال. وكنت دائماً ارى ان امامي الوقت الكافي للعشق والزواج. . . ولكن لماذا هذه الرغبة المفاجئة منك لكي تريني مكبّلاً بقيود الزواج؟

ولم تكن سارة تعرف الجواب، الا انها ابتسمت وقالت له:

- كثيراً ما تساءلت لماذا يتكلم الرجال دائماً عن الزواج بمثل هذا الكلام.

فقال كيماني:

- هي عادة اكتسبتها في غضون اقامتي بانكلترا. دليل ذلك يعود الى اكتفاء الانكليز بزوجة واحدة. خذي مغاري مثلاً. فهو ينعم بثلاث زوجات لأنه يتبع التقليد القديم، أما نحن الذين من الجيل اللاحق فقد فاتنا القطار.

- قلت هذا الكلام من قبل. فهل انت بالفعل تتحسر لأنك لا تستطيع ان تتبع التقليد القديم في تعدّد الزوجات؟

- كلا، لا اتحسر. وقد كان لي الاختيار في اتباع ذلك التقليد. لم يجبرني احد. وانما لم يعد باستطاعتي ان اعيش حياة القرية كما كان يفعل آبائي واجدادي مهما يكن انتمائي شديداً لتلك الحياة. ذلك اني تعلمت في بيئة ثقافية اخرى ان احتاج لمعيشتي اكثر مما تستطيع موارد القرية ان تقدّم لي. فبيني وبين مغاري نحو مئة سنة من العادات والتقاليد، وليس بالامكان ردم الهوة بيننا. وبامكان الواحد منا ان يبقى كما هو او ان يتقدم الى الأمام، ولكن ليس بامكانه ان

يرجع الى الوراء.

فأزعجتها عبارته الاخيرة من دون ان تدرك السبب. ثم قالت له:

- ذهبت الى القرية هذا النهار.

قال لها:

- سمعت بذلك... ولكني أوافق ستيف على ان من الخطأ ان تذهبي وحدك الى هناك.

فسألته قائلة بانزعاج:

- لماذا؟

أجاب بصراحة:

- لأنهم غير معتادين ان يروا امرأة من الجنس الابيض تتجول فيما بينهم. والذين يزورون القرية من حين الى آخر يصطحبون رجالاً لحراستهم. على ان مغاري يعاملك معاملة مميزة لا يعامل بها احداً من نساء قبيلته، لأنه يدرك الفرق الأساسي بينكن. غير انه في نفس الوقت يدرك ان تسامحه معك يضر بنمط الحياة المستمرة منذ قرون.

وحافظت سارة على هدوئها طويلاً، ثم قالت معترفة بصحة رأي كيماني:

- بدأت في الواقع اعتقد اني لم افكر في اي شيء بما فيه الكفاية من قبل...

ونهضت واقفة وهي تقول:

- أنا ذاهبة الى الفراش الآن... أراك عند تناول طعام الفطور.

ولعلها كانت تصغي بعقلها الباطن، او لعلها كانت تسمع صوتاً سابقاً أدى بها الى حافة النعاس. ولكن مهما يكن السبب، فقد استيقظت تماماً وسريعاً حين سمعت صوت هدير السيارة القادمة من جهة النهر. كانت عقارب ساعة يدها تشير الى الثالثة والنصف، والليل خارج المنزل حالك السواد. وكان المطر ينهمر على السطح ويسيل فوق النوافذ في طريقه الى الارض تحت الشرفة. ولم يكن هنالك هبوب ريح، بل فقط سيل من المياه وصرير السلّم الامامي

حينما تطأه الاقدام صعداً.

وأسرعت سارة من فراشها فذهبت الى باب الغرفة ووقفت تنتظر. ثم قادتها خطواتها الى باب غرفة الجلوس حيث سمعت بعض الاصوات. واتضح لها ان ستيف ألقى سترته وحذاءه خارجاً على الشرفة، ولكنه احتفظ بسرواله المبلل بالماء حتى الركبة. ورأته على ضوء المصباح الكهربائي الوحيد، فاذا به يبدو متعباً ويحتاج الى حلاقة ذقن. والتفت ليتناول كأس الشراب فلمحها واقفة في الباب، فقال لها:

- مالك حافية القدمين؟

ونظرت سارة الى بيجامتها القطنية وأصابع قدميها الحافيتين، فأحست بحرارة الحياء تلامس خديها. سألته قائلة:

- هل توفقت هذه المرة؟

فأجابها:

- اكثر مما توقعت. فقد ألقيت القبض على اثنين من اللصوص، ولكن الثالث من الهرب. ولكننا فقدنا كركدن للحصول على هذه النتيجة.

فقالت سارة وهي غير مصدقة:

- تهانيّ. أين هما الآن؟

- حجزناهما في اللودج الى الصباح، حين نقوم بالترتيبات اللازمة لتسفيرهما الى نيروبي للمحاكمة.

- اذن، فقد طويت هذه القضية.

- هذه المرة، نعم. فهؤلاء اللصوص لم يكونوا الاوائل، كما لن يكونوا الأواخر.

وتوقف لحظة عن الكلام ثم اضاف:

- المهمّ هو ان نعرف من يقف وراءهم.

- هذان اللذان قبضت عليهما، الا يمكن حملهما على الاقرار؟

- اشك في انهما يعرفان اي شيء اكثر من انهما اذا عادا بالبضاعة

الى مكان معين، فانها يقبضان ثمنها المتفق عليه. والأمل الوحيد لمعرفة رؤوس العصابة هو البنادق التي زودوا هؤلاء اللصوص بها. هذا مع العلم ان الامر ليس سهلاً على الاطلاق.

وبعد ان تثاءب وتمطى من التعب والنعاس قال لها:

ـ اما حان وقت ذهابك الى الفراش؟

فأجابت:

ـ سأذهب حينها تذهب.

قال لها:

ـ بعد سنتين من الآن، اذا قلت مثل هذا الكلام تجلبين على نفسك الأذى. وعلى كل حال، ان كنت تشعرين بالرغبة في مجالستي، فما عليك الا ان تدخلي وتجلسي. فأنا اريد ان اتحدث اليك، فليكن عاجلاً لا آجلاً.

فدخلت سارة وجلست على أقرب كرسي وهي تنظر اليه بحذر ثم قالت:

ـ بماذا تريد ان تتحدث الي؟

فقال لها:

ـ اذا كان بإمكانك ان تهدئي روعك قليلاً، فسأخبرك. . .

وصمت لحظة ثم تابع قائلاً:

ـ لا ازال افكر باقتراحي الذي قدمته لك، وهو ان تذهبي وتقيمي مع أختي جيل في نيروبي.

فقالت سارة على الفور:

ـ لا أريد ان اذهب الى نيروبي.

قال لها ستيف مبتسماً:

ـ اعرف انك لا تريدين الذهاب الى هناك. . . لكن المسألة هي انني كنت انوي قضاء بضعة اسابيع مع جيل لأول مرة منذ سنتين. ثم انشغلت بوظيفتي هذه. والآن اذا لم اغتنم وجودي هنا، فلا اعلم متى تتاح لي الفرصة لأجتمع اليها. فما رأيك ان ادعوها للمجيء الى

هنا لمدة من الزمن؟ فهي لم تأت الى هذه الانحاء من قبل، والخبرة قد تفيدها.

وكانت ردة فعل سارة مزيجاً من الترحيب والحذر. فهي من جهة ارادت التعرف الى اخت ستيف حباً في الاستطلاع، ومن جهة اخرى خشيت ان لا تروق لها معاشرة فتاة من جيلها نشأت في بيئة مختلفة عن بيئتها. فتمتمت قائلة لستيف:

ـ لماذا تسألني عن رأيي في هذا الموضوع؟ فلك ملء الحرية في ان تدعو من تشاء الى هنا، ما دمت المسؤول الأول عن المركز.

فرفع عينيه الى فوق وقال:

ـ اسألك عن رأيك لأني لا أريد المتاعب فيها بعد. جيل تستطيع ان تدبّر امورها جيداً. ولكن ما يهمني هو هل انت مستعدة للترحيب بها من دون مشاكل؟

قالت له:

ـ بكل سرور، اذا كان هذا ما تريده. هل تقيم عائلتك في انكلترا؟

فأجابها:

ـ لا عائلة لي. لم يبق منها سوى جيل وأنا.

وبعد ان صمت قليلاً اضاف قائلاً:

ـ سأقوم بالترتيبات اللازمة في الصباح. فبإمكان جيل ان تستقلّ طائرة المؤونة التي ستأتي الى هنا في الاسبوع القادم. والآن، فليذهب كل واحد منا الى فراشه.

٣- الجرح

مضت بضعة ايام لم يذكر فيها أحد زيارة جبل يورك الوشيكة. وكان ستيف خرج بعد تناول طعام الفطور في جولة تفتيشية على ان لا يعود قبل المساء. وبما ان سارة اعتادت قبل سفر والدها على الحرية في التصرف، فقد وجدت القيود التي فرضها ستيف على تحركاتها مزعجة الى حدّ، وخصوصاً حين رفض تيد ان يعطيها مفتاح خزانة الاسلحة، قائلاً بصراحة:

- آسف. قال ستيف انك لا تحتاجين اليها، لأن الحراسة مؤمنة في كل جولاتك ونزهاتك.

فأجابته بحدّة:

- لم أحتج اليها في حياتي، غير اني تعودت ان أحملها معي...

فقال لها:

- على أية حال، لن أجعل نفسي عرضة لتأنيب ستيف كالمرة الماضية. فاذا كنت تريدين ان تناقشي الموضوع، عليك ان تناقشيه معه.

ورأت سارة ان تيد على حق في وجهة نظره. فوافقته وانصرفت الى قضاء ذلك النهار في البحث مع كيماني عن قطيع من الافيال لمحه كيماني من الطائرة. وفي اليوم التالي أرسلها كيماني الى اللودج مع أحد الحراس للاستحمام في بركة السباحة. ولم يكن احد هناك قبل الظهر لأن السياح المقيمين فيه كانوا يتجولون في السهول مع الادلاء. ولكن عندما حان وقت الغداء بدأوا يتوافدون عائدين الى اللودج.

وجلست سارة على حافة البركة وقدماها متدليتان في الماء، تراقب حركة اولئك السياح بين المطعم والمقهى. وخامرها الشك في ان يكون احد منهم استفاد شيئاً ذا قيمة من زيارته هذه الى مجاهل افريقيا وادغالها. فالأراضي المخصصة للصيد كانت في نظر معظمهم بمثابة حديقة حيوانات كبرى، ما عدا فارقاً بسيطاً وهو ان العنصر البشري هنا هو الذي يحتلّ الاقفاص، فيما الحيوانات هي التي تسرح وتمرح. وبعد اسبوع او شهر من الآن يعود هؤلاء السياح الى حيث جاؤوا، فيخبرون كيف انهم شاهدوا الأسد والفيل والكركدن كلاً في بيئته الطبيعية. ويعرضون باعتزاز صورهم التي التقطت لهم في اثناء تجوالهم في تلك الانحاء. وقد يمرّ لماماً في خاطر واحد او اثنين منهم ذكرى ليالٍ مثقلة ومليئة بالأصوات واشراقات الشمس، على نحو لا مثيل له في العالم كله.

وكانت سارة تهم بالانتقال الى الظل، فاذا بشاب خارج من ناحية المطعم يترك افراد عائلته ويجتاز العشب الى حيث كانت جالسة. ولما اصبح على مقربة منها رأت انه قد لا يكبرها باكثر من سنة. كان يبتسم ابتسامة ودية ويضع يديه في جيب سرواله القصير، وشعره الاشقر يتطاير قليلاً مع هبوب النسيم.

قال لها:

ـ يبدو انك من القادمين الجدد... هل وصلت هذا الصباح؟

فهزت رأسها قائلة:

ـ كلا. انا اقيم هنا.

أظهر دهشته وقال:

ـ هنا؟ في هذا اللودج؟

فأحاطت ركبتيها بذراعيها وأجابت:

ـ كلا، انني اقيم على بعد عشرين ميلاً من هنا... فأبي مدير مركز صيد الحيوانات في كامبالا.

ـ أوه... هذا شيء عظيم.

قال ذلك وهو يجلس بجانبها على العشب. ثم تابع كلامه قائلاً:

ـ من يخطر بباله انك تقيمين في هذه الانحاء النائية؟ لا شك انك من النوع الذي يحب المغامرة... انا ترافس وبلارد من مدينة ديترويت بالولايات المتحدة الاميركية.

ـ وانا سارة مكدونلد... لم التقي احداً من ديترويت قبل الآن.

ـ انها لا تشبه هذا المكان في شيء... نحن نسكن في الطبقة السادسة عشرة من احدى البنايات... ولا يمكنك الا في يوم صاف ان تبصري الشارع!

ـ نحن؟

ـ نعم، نحن العائلة: امي وأبي واخي الأصغر. وهذه الرحلة هدية لي لمناسبة بلوغي التاسعة عشرة. ولكننا رأينا ان نرجئها الى هذه السنة لنتمكن جميعنا من المجيء معاً.

ـ وهل كانت الرحلة تستحق هذا الانتظار الطويل؟

ـ نعم. فهي لا تفوّت... زرنا ابردير وامبوزلي ونيروبي وهذا المكان هنا... وأنا لست مشتاقاً للعودة الى الوطن بعد غد!

ـ رحلة طويلة... وكم استغرقت من الوقت؟

ـ استغرقت شهراً... واستهلكت افلاماً عديدة من الصور

التذكارية.

والتفت الى حيث جلست عائلته في الشرفة الظليلة، ثم تابع كلامه قائلاً:

ـ تعالي، هل تريدين ان تتعرفي الى أفراد عائلتي؟ انهم ولا شك يسعدون بالتعرّف اليك...

فقالت سارة:

ـ ولكن، الا ترى انه يجب ان ابدّل ثيابي؟

ـ لا ارى داعياً لذلك. فانت جميلة المنظر. ويزيد في جمالك بشرتك التي لوّنتها اشعة الشمس... آه، ليت لبشرتي مثل هذا اللون، فهي تحترق احتراقاً حين تتعرض لحرارة الشمس.

فقالت له سارة بابتسام:

ـ اذن، عليك ان تسرع في العودة الى الظل... وأنا احب جداً ان اتعرف الى أفراد عائلتك.

وتبين لها حين تعرفت اليهم انهم قوم طيبون كالابن الاكبر، وهذا ما جعلها تشعر بارتياح وهي بينهم. وكان الأخ الأصغر في نحو العاشرة من العمر ويلقبونه تشيير. وحين قال له ترافس ان سارة تعيش في الاراضي المخصصة للصيد، اشرق وجهه وسألها من دون مقدمة:

ـ هل تستطيعين ركوب الأفيال؟

فابتسمت سارة وهزت رأسها علامة النفي. فقال لها:

ـ اذن، لا بد ان يكون عندك اسد صغير تربينه!

وحين اجابت بالنفي ايضاً، بدا عليه الاستياء وقال:

ـ كيف يكون ذلك وانت تقيمين هنا؟

وهنا تدخلت والدته في الحديث فأشارت عليه بالسكوت. واعتذرت لسارة عما بدر عنه من احراج لها. ثم قالت:

ـ سامحيه لأنه كان يشاهد كثيراً من الأفلام التلفزيونية عن مثل هذا الموضوع، فظن ان كل من يعيش هنا في الادغال شبيه بطرزان.

وقالت سارة لتشيير:

ـ عندي قرد... أيهمك هذا؟

فبرقت عيناه وصاح:

ـ من أي نوع؟ شمبانزي؟

ـ كلا... سايكس.

ـ لم أسمع بهذا النوع من القرود.

ـ ربما رأيته في حديقة الحيوانات، وهو يسمى أحياناً القرد الازرق، او كيما باللغة السواحلية.

ـ هل تتكلمين هذه اللغة؟

وهنا رفع السيد ويلارد رأسه وصاح بابنه:

ـ كفاك أسئلة... وجّهت اليها من الأسئلة اكثر مما في وسع دائرة المعارف ان تجيب عليه في أربعة اسابيع!

فأسرعت سارة الى القول:

ـ لا يزعجني ذلك على الاطلاق.

ثم التفتت الى تشيير وقالت له:

ـ هناك في المركز أيضاً غزال صغير، وهو أصغر مخلوق على وجه الأرض...

فنظر اليها الصبي مشدوهاً وقال:

ـ هل بامكاني ان اراه... وارى القرد ايضاً؟

فصاحت به والدته:

ـ كم مرة قلت لك يا تشيير ان لا تفرض نفسك على الآخرين هكذا؟ فانت تعرف جيداً انك لا تستطيع الذهاب الى هناك لرؤيتها...

فقالت لها سارة في الحال:

ـ لمَ لا؟ فأهلاً وسهلاً به وبكم جميعاً في صباح غد. الدليل يقودكم الى هناك بكل سهولة.

وقال تشيير فرحاً:

ـ يا الله... لا يمكنني ان اصدق...

قال السيد ويلارد موجّهاً كلامه الى سارة:

ـ احقاً ان لا مانع من ذهابنا غداً صباحاً؟ الا يزعج ذلك والدك؟

فاجابت قائلة:

ـ والدي غائب هذه الايام... وأنا ادعوكم بكل قلبي...

والتفتت الى تشيير وقالت له:

ـ واذا كنت تحبّ الأمكنة المرتفعة يا تشيير، فسآخذك الى مكان تشاهد منه كل أنواع الحيوانات.

وهنا صاح ترافس:

ـ وانا؟ أما لي نصيب من هذا كله؟

فابتسمت سارة وقالت:

ـ وانت أيضاً.

وفيما هي تزيح خصلة الشعر عن جبينها ملتفتة الى الوراء، لمحت ستيف مقبلاً عبر الغرفة. وحين وصل بقميصه الرياضي وسرواله القصير، وقف وخاطبها قائلاً:

ـ جئت لأرى اذا كنت مستعدة للعودة معي الى البيت... ولكن لا عجلة في الأمر، فبامكانك ان تنتظري تيمو لمرافقتك.

ثم نظر الى السيدة ويلارد وقال لها:

ـ جميل منك أن تشمليها برعايتك. فليس هنا في كامبالا من يصح أن تعاشرهم فتاة في مثل سنها.

واستاءت سارة من كلامه «الأبوي»، ولكنها ضبطت اعصابها واخذت تعرفه الى افراد العائلة. فقال السيد ويلارد:

ـ دعتنا سارة الى زيارة المركز غداً صباحاً لرؤية ما لديها من حيوانات داجنة، فهل توافق على ذلك؟

ـ بكل تأكيد. اهلاً وسهلاً.

ـ شكراً... والآن هل تشاركنا في تناول بعض المرطبات؟

ولم يرق لسارة ان يقبل ستيف الدعوة من دون تردّد. وجلس

ستيف في الكرسي التي قدمت اليه، فيما نادى السيد ويلارد الخادم ليجلب طلباتهم. وفكرت سارة في نفسها قائلة:

الا يمكنها ان تتحرر من ستيف ولو يوماً واحداً؟ وشقّ عليها ذلك، ناسية انها لم تره في الايام الثلاثة الماضية الا في المساء.

وفي محاولة لاظهار استيائها الذي لم يخف على ستيف، ادارت له ظهرها والتفتت الى ترافس وسألته ان يخبرها عما يقوم به من عمل في ديترويت. فقال لها انه يتدرب ليكون مهندساً معمارياً. ثم اخذ يسرف في الكلام على شغفه بهذا الحقل من المعرفة. وأصغت سارة اليه بحماسة وهي تبدي رأيها في هذا الاسلوب المعماري أو ذاك. ولكنها كانت تؤثر ان تصغي الى الاجوبة التي كان ستيف يرد بها على اسئلة السيد ويلارد وزوجته، لانها كانت تتناول بيئته العائلية ونشأته وما الى ذلك، مما كان يشبع فضولها وحبّها للاستطلاع. ولم يكن من عادة ستيف ان يسهب في الكلام عن نفسه، ولكنه احبّ عائلة ويلارد على ما يبدو الى حدّ جعله يغير عادته.

وبعد نحو نصف ساعة استأذن ستيف بالانصراف. فلم تنتظر سارة ان يسألها اذا كانت تريد مرافقته، بل سارعت الى القول انها تريد ذلك لتوفر على تيمو مشقة المجيء للعودة بها الى المركز. فقال لها ستيف:

- اذن، ارتدي ثيابك في الحال... فلدي مشاغل كثيرة هذه الليلة.

فذهبت الى خزانة الثياب ولبست قميصها وسروالها فوق ثوب الاستحمام. ثم اصلحت شعرها بأصابعها كالعادة. وحين عادت وجدت ان ستيف والعائلة ويلارد انتقلوا الى آخر الشرفة واخذوا ينظرون الى قطيع من حمير الوحش يسير الى بركة الماء التي على بعد مئة متر منهم وعشرين متراً تحتهم. وكان تشيبر تغيّب اثناء الحديث، ولكنه عاد الآن ليذكرهم بموعد الزيارة في صباح اليوم التالي. فقال له ستيف:

- لن تنسى يا بنيّ، فلا تخف!

وانتظرت سارة الى ان ابتعدا بالسيارة عن اللودج ودخلا الطريق العام، فقالت لستيف:

- شكراً لك!
- على ماذا؟
- على قبولك دعوتي لهم غداً.
- هل كنت تتوقعين عدم قبولي؟
- نعم. فهذا ما يروق لك ان تفعله اذا كان الامر يتعلق بي.

ففكر ستيف ملياً ثم قال:

- لا افعل الا اذا دعت الحاجة، ولا اظن ان الحاجة دعت الى رفض دعوتك لهم... الا اذا كنت دعوتهم على أمل مشاكستي...
- كلا، لم تكن غايتي مشاكستك. فلو كان الأمر كذلك، لما استعنت بأحد.

فابتسم ستيف وقال:

- أصدقك... نسيت انك تحرصين على استقلالك في كل شيء تفعلينه...

وسيطرت سارة على اعصابها، اذ كان من الواضح انه يحاول اثارتها. فقالت له:

- وماذا تفضّل انت؟ ان اكون خاضعة مستسلمة؟
- مشكلتك ان لك عقلاً مشككاً، يا صغيرتي. ويعوزك ان تثقي ولو قليلاً بالجانب الصالح من الانسان...
- ربما كنت أثق بذلك لو كان موجوداً!

قالت هذا الكلام ووضعت يدها على كتف ستيف محذرة:

- ها! الأفيال أمامك!
- رأيتها.

واخذ يبطىء في السير، ثم توقف حين خرج فيل من مخبأه يتبعه قطيع من البقر وزوج من العجول. وبعد مرورهما ظهرت حركة بين

الشجيرات الكثيفة الى شمال السيارة. ثم خرجت ثلاثة ثيران وهرعت تلحق بالقطيع الذي كان قد بلغ الطريق العام. وبعدها ظهرت بقرة تبلغ من الضخامة درجة لا عهد لسارة بمثلها من قبل. فما ان رأتها حتى تأهبت لمهاجمتها. ولكن ستيف سارع الى ادارة محرك السيارة، ثم قادها الى الوراء باتجاه الطريق العام، فيما البقرة تنظر اليها نظرة احتقار للجبن الذي أظهراه.

وقالت سارة بعد ان اتجهت بهما السيارة الى الأمام:

- سرّني انك لا تتجبّر على كل أنثى.

فابتسم ستيف قائلاً:

- حين تكون الأنثى بمثل تلك الضخامة، فأنا دائماً أتراجع هرباً.

ثم انتقل الى الكلام على ترافس، فقال لها:

- بدا لي من حديثك عن الفن المعماري انك على شيء من المعرفة به. فكيف كان ذلك؟

أجابته بتحسّر:

- هو يعرف اكثر مني بكثير. على اني لم أكن انتظر منه محاضرة عن الموضوع.

- هذه عبرة لك. فلا تحاولي بعد الآن ان تحفري لي حفرة لئلا تقعي فيها. على كل حال، فهو شاب لا بأس به كما يبدو.

- لا شك في ذلك. فهل تعتقد انه يكون لي زوجاً صالحاً؟

فضحك ستيف وقال:

- لو قضى اسبوعاً واحداً معك لنسي يمينه من شماله... والرجل الذي تتزوّجينه في المستقبل يجب ان يقف دائماً على رؤوس أصابعه!

- يا لها من وقفة غير مريحة. وما دمت تعرفني كل هذه المعرفة فلعلك تختار لي حين تعود الى نيروبي بعض طالبي الزواج، فترسلهم الي لأوافق على واحد منهم!

ولمحته ينظر اليها مستمتعاً بكلامها، فقالت بغتة:

- هل تسمح لأختك جيل بأن يكون لها عشاق؟

فرفع حاجبيه قائلاً:

- لماذا لا تسأليها حين تجيء الى هنا؟

أجابت:

- سأسألها... أرجو المعذرة، فأنا لم أقصد ان اتهكّم على حسابها. ولكن قل لي، هل لأختك أصدقاء كثيرون؟

- نعم. وهي تسكن مع والدين صديقين لعائلتنا في مومباسا. وحيث ان لهما ابنتين، فضلاً عن ابن واحد، فهي تقضي أيامها في محيط اجتماعي واسع. وأنت، هل ذهبت الى مومباسا يوماً؟

- ذهبت منذ مدة طويلة، قبل ان يشغل والدي وظيفته هذه.

- يوم كانت امك على قيد الحياة؟

- نعم.

- أتشعرين بفقدان امك؟

- طبعاً، من بعض النواحي... توفيت منذ مدة طويلة، وأبي أحسن معاملتي جداً.

- كان خيراً لكما أنتما الاثنين لو تزوج مرة ثانية. فالفتاة تحتاج الى ام كما تحتاج الى أب... هل كنت تمانعين لو عزم على الزواج؟

- كلا، لو وجد امرأة اراد الزواج منها كنت ولا شك احبها.

فقلب ستيف شفتيه وقال:

- الحياة ليست بمثل هذه السهولة.

- على كل حال، لم أكن سأشعر بالغيرة... اذا كان هذا الذي تقصده... فأنا لست فتاة أنانية الى هذا الحد!

- لا تتسرعي في حكمك. كل ما قصدته هو انه ليس من السهل على الانسان ان يحب احداً لمجرد ان سواه يحبه. والصفات التي يريدها الرجل في المرأة لا تشمل بالضرورة صفة الأمومة.

فبادرته قائلة:

- أوه... ألا تحبّ الاطفال؟

- لم افكر بالأمر كثيراً... ولكن ماذا جعلك تسألين هذا السؤال؟
- ما قلته بخصوص الصفات التي يريدها الرجل في المرأة.
- ما قلته يحتمل التعديل، فهو ليس رأياً حاسماً. ويبدو لي الآن اني احرص اذا ما تزوجت، ان يكون لي ولد أو ولدان:
فخففت سارة من غلوائها وقالت له:
- أما وأنت متمسك بعزوبيتك الى هذا المقدار، فالحالة التي ذكرتها يصعب ان تنشأ...
قال لها ستيف:
- لم اقل اني متمسك بعزوبيتي... فأن اكون تجنبت النوم في الفراش الزوجي الى الآن، فلا يعني بالضرورة اني لن اتخذ لي زوجة في يوم من الايام. ويؤسفني انك لست اكبر سناً ببضع سنوات. فبقليل من الترويض تصبحين المرأة التي اتمنى ان اتزوجها.
فازداد خفقان قلبها لهذا الكلام، ولكنها حافظت على بسمتها وهي تقول:
- أغلب الظن اني أدسّ السم في طعامك قبل انقضاء أسبوع على زواجنا!
- لا أشك في ذلك... ولكن لا شيء أفضل من العيش بخطر، فيا للأسف! فقالت ونظرها الى الطريق:
- ارجو ان تقلع عن معاملتي كما لو كنت فتاة في الثانية عشرة.
- كيف تريدين ان أعاملك؟
- جرّب ان تعاملني كفتاة بلغت سن الرشد، فلعلك تحظى بردّ فعل مماثل!
فأوقف ستيف السيارة فجأة، ثم مال اليها وقال:
- اذن، اقتربي الى هنا ودعينا نتصرف كما يتصرف الراشدون!
فتراجعت سارة بعفوية الى طرف المقعد وهي تقول له:
- لا تكن مضحكاً!

- ليس في الحب ما يضحك.
قال هذا الكلام وأخذها بين ذراعيه وتمتم في أذنها قائلاً:
- ليتك في السن التي تستطيعين ان تتحملي فيه شدة حبي لك.
فتخلصت من بين ذراعيه وصاحت غاضبة:
- أنت... أنت..!
فقال لها محذراً:
- لا تقولي كلمة تندمين عليها فيما بعد.
وأفلتها وهو يقول:
- يكفي هذا القدر الآن...
فقاطعته قائلة:
- اياك ان تلمسني مرة ثانية... والأ شكوتك الى مدير الشركة!
- ما يعجبني فيك يا حبيبتي انك لا تبعثين الضجر... والآن هل ستصرفين بتهذيب الى ان نصل الى المنزل؟
فجلست في مكانها بصمت واستسلام. وهي تقول لنفسها:
- ما الفائدة من المقاومة، وستيف هو الذي يفوز في النهاية دائماً...
وما ان توقفت السيارة امام المنزل حتى نزلت منها من دون ان تتفوه بكلمة، وهرعت الى غرفتها. وهناك نظرت الى وجهها في المرآة واخذت تلوم ستيف على ما فعله. وخصوصاً محاولته ان يجرّها الى اعلان ما لم تضمر اوتقول ما لا تعني، رغبة منه في السخرية بها. على انها في نفس الوقت احست بأن ما فعله ستيف خلق في قلبها شهوة الى المزيد. ووضعت سارة كفيها على خديها الملتهبين في محاولة لابطاء دقات قلبها المتسارعة الموجعة. كان في ذلك ما يضحك، لأنها لم تكن تميل الى ستيف ميلاً شديداً...
وتجنبته ما امكن كل ذلك النهار، ولكنها بذلت جهداً بالغاً عند تناول طعام العشاء لتظهر بحالتها الطبيعية. ومرة أو مرتين لمحت ستيف ينظر اليها متفحصاً، ولكن من دون ان يقول كلمة تشير من

قريب او بعيد الى ما جرى لها بعد الظهر. وفرحت سارة عندما دنت الساعة العاشرة واصبح بامكانها ان تأوي الى غرفتها متذرعة بالتعب والنعاس. ولم تغمض عينيها الا بعد ان سمعت ستيف في الممشى يودّع كيماني، ثم صوت باب غرفته يغلق عليه.

ووصلت العائلة ويلارد في الساعة التاسعة صباحاً برفقة الدليل الذي استأجرته في اللودج. وكان تشيير أول من نزل من اللاندروفر وكلّه حماسة وشوق. وكم كانت دهشته عظيمة حين رأى كيكي جاثماً على كتف سارة. فأنزله وطاف به ارجاء المنزل، ثم اصطحبه الى الزريبة حيث داعب الغزال الصغير الى حدّ أثار غيرة كيكي، فراح يعض اذنه بلطف وكأنه يحثّه على مغادرة الزريبة.

وفيما كان السيد ويلارد وزوجته يتناولان مرطباً على الشرفة، برّت سارة بوعدها فأخذت تشيير وأخاه الأكبر ترافس الى مشاهدة المناظر من على رأس الجرف. وحملت معها تلسكوبا ذا النظارتين مما أكسبها ثناء ترافس وهو يجيل بنظره فيه متنقلاً من جهة الى أخرى. وكان تشيير اظهر اهتماماً شديداً بالأفاعي التي اخبرته سارة عنها، وكم كانت خيبته مريرة حين لم يجد ولا واحدة منها في ذلك الجوار.

وأعلن ترافس عن أمنيته في ان يعيش طول حياته في تلك الانحاء. فقالت له سارة:

- ولكن كيف تتابع دراسة الهندسة هنا؟ صدّقني انك حين تعود الى ديترويت، لا تلبث ان تنسى كل هذا الذي تشاهده. . .

فقال ترافس:

- ليس كله. . .

ونظر اليها نظرة اعجاب وتابع كلامه قائلاً:

- لم اصادق فتاة مثلك بعد. . . كل ما تفكر فيه الفتيات هناك في المدينة هو اللباس وضرب المواعيد مع الشبان. اما انت فأشك انك تنظرين الى وجهك في المرآة. ومع ذلك تبدين احسن حالاً من اولئك الفتيات اللواتي يصرفن امام المرآة ساعات طويلة. . . ولا اظن اني

أوّل من قال لك من بين الذين يفدون الى اللودج انك رائعة الجمال. . .

فابتسمت سارة وقالت:

- لا اذهب الى اللودج كثيراً. كما اني لم الاحظ من قبل ان احداً ابدى اقل اهتمام بي.

فقال لها ترافس:

- لعل السبب هو انهم يتصعقون من الدهشة والاعجاب حالما تقع عيونهم عليك، فلا يجرأون على البوح بكلمة. فانت البارحة مثلاً نظرت اليّ كما لو كنت حية تزحف على العشب. . .

فجفلت من كلامه وقالت:

- أصحيح هذا؟

ضحك ترافس وقال:

- لا تنزعجي. . . فأنا احمل الكثير من مثل ذلك التصرف قبل ان اقر بالهزيمة. حتى ان والدي يرى اني افتقر الى اللياقة. . . فهل ترين رأيه؟

فأجابت:

- يجب ان أتعمق في معرفتك قبل ان اجيب على سؤالك.

- لا مجال لذلك مع الأسف. فالأرجح اني لن اراك ثانية. ولا احسب انك ستأتين يوماً الى الولايات المتحدة الاميركية.

- وانا كذلك. . .

وتساءلت سارة لماذا لا تستطيع ان تتحمس لهذا الحديث اكثر مما تفعل. فها هنا شاب وسيم حلو المعشر يظهر لها من الاهتمام ما يفترض ان تتمناه كل فتاة، سواء كان هذا الاهتمام صادقاً ام لا. ومع ذلك تتصرف نحوه كما لو كان أخاها الاصغر. نعم، كان ترافس في مطلع الشباب، ومن المعلوم ان الفتيات ينضجن عاطفياً قبل الشبان الذين من جيلهن. على ان ذلك لم يكن كل السبب كما ادركت سارة. فالجو بينهما كان يعوزه نوع من الاثارة

والحماس. فالبارحة مثلاً كان قلبها وهي جالسة في السيارة بجانب ستيف يخفق خفقاناً شديداً حتى قبل ان يلمسها. ولم يكن يخفق من الخوف وانما من انتظار مغامرة ما. هذا مع العلم ان ستيف لم يكن حلو المعشر بالقياس الى ترافس. اذ انه اعتاد على الاستبداد بها والتهكم عليها، بل حتى تهديدها حين يعنّ ذلك على باله... فلماذا اذن تفضله على الآخر؟ هذا ما لم تستطع فهمه.

وعادت من تلك التأملات الى واقع الحال لتجد ترافس واقفاً امامها وعلى وجهه أمارات الحزم. قال لها:

- كم أريد يا سارة ان اضمّك بين ذراعيّ... فهل تسمحين؟

وحارت ماذا تقول، فصاحت:

- اين تشيير؟...

قال لها ترافس:

- انه يجول حول المكان... وسنبحث عنه حين نعزم على العودة...

ووضع يده على ذراعها مبتسماً وقد احمر وجهه وهو يقول:

- أنت تختلفين عن سواك من الفتيات... ولا أظن اني شعرت نحو أحداهن من قبل مثل شعوري هذا نحوك...

وحدقت سارة اليه كطفل امام صورة غامضة مبهمة، غير متأكدة تماماً كيف تعالج الحال التي وجدت نفسها فيها. كانت تشعر نحو ترافس بالمودة البالغة وتعرف انه اذا رفضت طلبه ان يضمها بين ذراعيه فسيقبل ولا يلجأ الى الالحاح. ولكنها مع ذلك رأت ان تجيبه قائلة:

- ولِمَ لا؟

فأخذها بين ذراعيه وراح يداعب شعرها المنسرح على كتفيها. وأحست سارة بحرارة جسده الغض فراق لها ذلك. ولكنها خشيت من تماديه في عناقها، فتراجعت وقالت له:

- دعنا نبحث عن تشيير... لأنه حان لنا ان نعود الى المنزل.

وفيما هما يبحثان عنه سمعا صوته ينادي:

- تعالا الى هنا... وجدت أفعى كبيرة!

فصاحت به سارة:

- ابتعد عنها.

وأسرعت نحو مكان الصوت يتبعها ترافس، فوجدا الصبي يحدق الى شق بين الصخور ويقول:

- هربت... ليتك شاهدتها يا ترافس... هي طويلة ونحيلة، ولكني لا اعرف نوعها.

فقالت له سارة:

- اياك ان تقترب من افعى، فهي اذا لم تستطع الهرب هجمت لتدافع عن نفسها... والآن هيا بنا الى المنزل.

وكان النزول موجعاً لسارة، لأنها كانت قد وقعت على ظهرها حين هرعت مسرعة على نداء تشيير. وشعرت ان قميصها يلتصق بظهرها، فهل كان ذلك عرقاً ام دماً؟

وعندما وصلوا الى المنزل وجدوا ان ستيف لا يزال يستضيف السيد ويلارد وزوجته على الشرفة، فيما انصرف عنهم كيماني وتيد. وتناولت سارة كأساً من العصير وحاولت تكبت الوجع الذي أحست به من احتكاك ظهرها بمسند الكرسي. وكان عليها ان تنتظر انصراف الضيوف قبل ان تكشف عن ظهرها وترى ما اصابه من جروح يجب معالجتها. اما الآن فعليها ان تبذل جهدها في تناسي ما أصابها، وفي ان لا يعرف ستيف بذلك.

وأخذ تشيير يتحدث عن الافعى التي وجدها، وكيف انها هربت واختبأت في شقوق الصخر. فتوقعت سارة ان ستيف سيؤنبها فيما بعد على اهمالها مراقبته. وقد قرأت ذلك بوضوح على ملامح وجهه.

وبعد نحو نصف ساعة استأذن الضيوف بالانصراف الى اللودج لتناول طعام الغداء، ثم لمشاهدة العاب الصيد بعد الظهر. وشكر السيد ويلارد وزوجته للقائمين على المركز ضيافتهم الكريمة. واظهر

تراقس تردده في الانصراف حين امسك بيد سارة مدة اطول مما يتطلّبه أدب المصافحة . . .

ويعد ان انصرف الجميع قال ستيف لسارة وهو يشعل سيكارته :

ـ انهم لقوم طيبون . . . ولكن كم يكون مؤسفاً لو ان ابنهم تشير اصيب بأذى!

فقالت سارة:

ـ اعرف ذلك، وكنت اتوقع هذا التأنيب منك. والحقيقة هي انه كان يجب ان لا أتهاون في مراقبته.

فقال ستيف بلهجة جافة:

ـ احسب انك كنت منشغلة بشيء آخر. . . بتراقس ويلارد مثلاً!

ـ ولمَ لا؟ فهو لا يحاول ان يستغل فتاة لا خبرة لها بعد!

ـ قد تكونين قليلة الخبرة في بعض الامور، ولكنك في الرد على كلام الآخرين خبيرة ماهرة. وسيأتي يوم . . .

وتوقف عن الكلام حين انتقلت سارة من مكانها ورأى امارات الألم بادية على وجهها، ثم بادرها قائلاً:

ـ ماذا بك؟

فنظرت اليه وجهاً الى وجه وقالت:

ـ لا شيء . . . تصلّب في الظهر من التسلّق.

ولكنه لم يصدقها لأنه رآها تتوجع رغم محاولتها كبت وجعها. فاقترب منها وامسك بذراعها وأدار ظهرها نحوه وصاح:

ـ الدم ينفذ من قميصك . . . بربك قولي لي ماذا كنت تفعلين؟

فقالت له:

ـ لا ترفع صوتك . . . الأمر بسيط. وقعت على صخرة فانخدش ظهري. هذا كل شيء. وانا ذاهبة لمعالجته.

ـ وكيف ترين الجرح؟ هيا الى الداخل لأكشف عنه.

ـ لا. لا أسمح لك بلمسي. وفي وسعي ان أتدبّر الامر بنفسي.

شكراً.

ـ انظري. انا لا استأذنك، بل آمرك. ادخلي وانزعي قميصك، بينما اجلب صندوق الادوية.

وكانت لا تزال واقفة في مكانها حين عاد اليها حاملاً صندوق الأدوية. فجن جنونه وأمرها ان تجلس في اقرب كرسي وتدير ظهرها اليه. ولكنها رفضت ومانعت في ان ينزع عنها قميصها ليرى الجرح ويعالجه، وقالت:

ـ دعني اتدبر الامر بنفسي!

ـ وكيف ترين الجرح لتعالجيه؟ يبدو لي انك مجروحة تحت الكتف من الخلف. فاختاري اي وضع تريدين، شرط ان اتمكن من رؤية الجرح واستخدام ما يلزم من علاج.

ولم تجد سارة بداً من الاستسلام، فسارت الى غرفتها ونزعت عنها قميصها وجلست على حافة السرير وظهرها الى جهة الباب. وحين دخل ستيف الغرفة لم تلتفت للنظر اليه.

وحدق ستيف الى ظهرها النحيل الذي اسمرّ من اشعة الشمس وقال:

ـ يا له من جرح عميق. . . لا بد انه يؤلمك جداً، وهو بحاجة الى تضميد خاص لينقطع نزف الدم. . .

وأحست سارة ان الفراش هبط قليلاً حين جلس ستيف وراءها وفتح صندوق الادوية واخرج زجاجة السائل المطهر. ثم أخذ يغسل الجرح بخفة ويطهره ويضع الضماد عليه، فيما هي جالسة ولسانها بين اسنانها الامامية تخفيفاً للوجع. واخذت تحسّ بلهاثه على رقبتها، بين خصلات شعرها المنسرحة الى الوراء. وتمنّت ان تقول كلمة تكسر بها الصمت، ولكنها لم تستطع ان تجدها.

وقال ستيف:

ـ هذا كل شيء . . . هل آلمتك كثيراً؟

فأجابته سارة:

- كلا.

وبعد ان داعبها قليلاً بحنان اخوي قال لها:

- سيتصلب مكان الجرح بعض الشيء، وهو يلتئم، ولا حيلة لنا في الأمر.

وتوقف قليلاً ثم قال متهكماً:

- وانه على الاقل يمنعك عن الشيطنة ليوم او يومين... والآن بامكانك ان تلبسي ثيابك.

وانتظرت سارة الى ان اغلق الباب وراءه، فنهضت الى خزانة الثياب وهي تحمل قميصها وتنظر في المرآة. وخطر لها ان ستيف لم يتأثر برؤيتها هكذا، فكأنما هي في نظره فتاة صغيرة يسره ان يداعبها في بعض الاحيان، وهذا كل شيء. ورأت ان من الخير لها ان تردد ذلك لنفسها على الدوام...

٤- الغريم يأتي الى الأدغال

تلقت سارة من والدها بعد ذلك بيومين رسالة يؤيد فيها ما جاء في البرقية التي أرسلها اليها حال وصوله الى لندن. ففي تلك الرسالة يخبرها بأن الطقس رديء ولكن الأمور تجري كما يرام. وقال انه سيقضي بضعة أيام في الريف مع بعض الأصدقاء، وربما أنفق جانباً من الوقت في صيد السمك اذا توقف هطول المطر. وأخبرها ايضاً في رسالته بأن لندن لم تتغير الا قليلاً، ومن ذلك كثرة ازدحام السيارات في الشوارع وزوال بعض المعالم الى الأبد. غير ان المدينة لا تزال على العموم كما عرفها من قبل.

وأبدى والدها شكه في أن تكون مدينة بنستون قد تغيرت في قليل او كثير عمّا كانت عليه حين غادرها لآخر مرة. وتمنّى من كل قلبه ان لا

تكون قد تغيرت، اذ انه نوى مرة من قبل ان يصرف بقية حياته فيها...

وأقبل كيماني نحوها وهي تمسك الرسالة مفتوحة بين يديها، وقال لها:

ـ اتفتقدين والدك؟

ففوجئت سارة بقدومه وبسؤاله، ولكنها أجابت:

ـ نعم، وكيف لا؟ انني أشعر كأنه سافر منذ زمن بعيد.

فقال لها وهو يجلس بجانبها ويشعل سيكارته:

ـ كان يجب ان تذهبي معه. فهو يسرّ برفقتك، وانت تستفيدين من تغيير المكان.

وكانت سارة قد ضاقت ذرعاً بتكرار هذه النصيحة على مسامعها، فقالت لكيماني بخشونة:

ـ لا أريد ان اسمع هذه النصيحة من احد بعد اليوم...

ثم توقفت عن الكلام وتابعت قائلة:

ـ اعذرني... يبدو انني بدأت أفقد اعصابي في هذه الأيام.

فأجابها بصراحة:

ـ لأنك تشعرين بالضجر... وقد تتحسن الحال حين تجيء أخت ستيف. هل علمت متى يكون ذلك؟

ـ كلا، لم يذكر لي ستيف شيئاً عن هذا الموضوع منذ فاتحني به. وانت، متى أخبرك عنه؟

ـ منذ بضعة أيام. وهي قد تصل يوم الجمعة على متن الطائرة التي تحمل المؤونة.

ـ هذا ما أظنه...

ولم تكن سارة واثقة من انها تحبذ مجيء جيل، فغيرت الموضوع وقالت:

ـ هل ستذهب الى مكان ما اليوم؟

ـ بعد قليل. هل تريدين مرافقتي؟

ـ هذا يتوقف على المكان الذي أنت ذاهب اليه.

فانفرجت شفتاه عن أسنانه البيضاء وقال:

ـ انا ذاهب الى صيد الثيران الوحشية... فهل هذا يكفي لاثارة حماسك؟

ـ ربما. هل تدعني أقود السيارة؟

ـ لماذا لا؟ الانسان لا يموت الا مرة واحدة!

فاظهرت امتعاضها من كلامه هذا وهي تضع رسالة والدها في جيب سروالها وتنهض واقفة على قدميها. وقالت لنفسها انها ستجيب على الرسالة في تلك الليلة، مع انها لن ترسل الى يوم الجمعة ورأت انه كان من الأفضل لو كتبت رسالة الى والدها وكلّفت العائلة ويلارد وضعها في بريد نيروبي. ولكن ذلك لم يخطر لها ببال قبل مغادرتهم المكان. وتساءلت هل يا ترى يفكر فيها ترافس في تلك اللحظة؟

وأخذ كيماني وسارة تيمو معهما، وتزوّدا ببعض الطعام ثم اتجها الى المستنقع مسافة ما يقرب من عشرة اميال، قبل ان يميلا نحو الادغال بحثاً عن الثيران الوحشية السوداء الخطرة. وكان كيماني قد شاهد قطيعين منفصلين في تلك الانحاء منذ بضعة أيام. وأراد الآن ان يتبينَ الجهة التي سارا نحوها والمسافة التي قطعاها...

وبعد مسيرة نحو ساعتين تمكنا من ايجاد قطيع واحد. فقاد كيماني السيارة نزولاً، ثم ترك سارة فيها وصعد مع تيمو بحذر لاحصاء عدد القطيع. واخذت سارة تراقبهما بالمنظار لبضع دقائق الى ان اخفتهما غصون الأدغال الكثيفة عن نظرها، ثم استسلمت الى الراحة بانتظار عودتهما.

وكان على مسافة نحو ميل منها قطيع من الغزلان يرعى بسلام، فراقبته لاهية لا تفكر في شيء. وفجأة لمحت حركة بين الاعشاب في منتصف الطريق بينها وبين القطيع، فتنبهت وعاد اليها كامل وعيها. فاذا بحيوان يزحف نحو الغزلان محاولاً الاقتراب منها ما امكن قبل مهاجمتها. ولما تفرست فيه عرفت انه من الفهود الخطرة جداً، فهي

تهاجم الفريسة في النهار بسرعة لا تضاهى.

غير ان القطيع كان متنبهاً للخطر ومتأهباً لدرئه. ولما ولّى هارباً تبعه الفهد بسرعة فائقة وانقضّ على احد الغزلان وأعمل انيابه في رقبته الى ان سقط مضرجاً بدمه.

وسمعت سارة في الوقت نفسه صوت طلقين ناريين واحداً تلو الآخر. فقبضت على البندقية التي في السيارة واسرعت في اتجاه الصوت. فاذا بها تجد تيمو منحنياً فوق كيماني المجندل على الارض، وعلى مقربة منه ثور مقتول. . .

وكان كيماني غير فاقد الوعي ولكنه يئن متوجعاً من كسر في ساقه اليمنى. ذلك ان الثور هاجمه بغتة من جانبه وأجبره ان يطلق عليه النار دفاعاً عن النفس. ولما لم توقف الرصاصة هجومه اطلق عليه رصاصة اخرى وقفز الى جانب ليتفادى ثقل انقضاض الثور عليه وان كان فقد الروح. وفيما هو يفعل ذلك وقع بشدة وسمع صوت انكسار عظم ساقه وهو يلوى تحته. وقال لسارة وتيمو:

ـ عليكما ان تجبرا الكسر وتساعداني على الخروج من هنا.

فبقيت سارة بقربه بينما ذهب تيمو الى اقرب شجرة وانتزع منها غصنين مستقيمين. ثم عاد وربط الساق المكسورة بهما وهي ممددة عليهما. وكان ذلك موجعاً جداً، حتى ان وجه كيماني اخذ يقطر عرقاً.

وتعاونا معاً على ايقاف كيماني على قدميه بصعوبة فائقة. ثم نقلاه الى السيارة تتقدمهم سارة والبندقية في يدها تحسباً للطوارىء.

ولم يكن في اللاندروفر متسع ليتمدد فيه كيماني، فجلس بين المقاعد وساقه ممددة أمامه. وتمنت سارة لو كان في متناول اليد علاج يخفف عنه وجعه الشديد، فصندوق الأدوية في السيارة لم يكن يحتوي على المورفين.

وادارت سارة ظهرها الى كيماني عمداً، فيما جلس تيمو في مقعد السائق وأشعل محرك السيارة. وهي انما فعلت ذلك لعلمها بأن

عنفوانه المازوي يأبى عليه ان تشاهد امرأة ضعفه وعجزه.

وفقد كيماني وعيه مرتين على الأقل في غضون الدقائق الخمسين التي استغرقتها العودة الى كامبالا. وشقّ على سارة انها لم تكن تستطيع مساعدته، واما تيمو فاستطاع مساعدته بعض الشيء بأن حاول ان يقود السيارة في الامكنة الممهدة من الطريق ليتجنب الارتجاج ما امكن.

وحين وصلوا الى المركز لم يكن ستيف رجع من جولته التفتيشية، فاستعان تيمو وسارة على حمل كيماني الى المنزل بأحد الرماة الموجودين هناك. فوضعوه على الفراش في غرفة، فيما بعث تيد ببرقية الى الشركة في نيروبي طالباً المعونة. وجاء الجواب ان طائرة ارسلت في الحال لنقل المصاب الى هناك لمعالجته معالجة صحيحة.

وقالت سارة:

ـ ولكن يبقى علينا ان ننقله الى المطار. وهذا يستغرق ساعة من الزمن، وكيماني يكاد ينهار من الوجع منذ الآن.

فقال لها تيد:

ـ عندنا هنا دواء المورفين، وقد استعملته مرة في حادث طارىء كهذا.

ثم اشار الى سارة ان تبقى في المنزل لتخبر ستيف بالأمر عند رجوعه. اما البقية فنقلوا كيماني الى السيارة واتجهوا بها الى المطار.

وراقبت سارة السيارة الى ان غابت عن نظرها. ثم دخلت الى المنزل وهي تفكر كيف حدث ما حدث بمثل تلك السرعة الفائقة. وأدركت لأول مرة انها قد لا ترى كيماني، ان لم يكن الى الابد فعلى الأقل الى مدة طويلة. فقد تعمد الشركة الى استبداله برجل آخر ينهي العمل الذي اوكل اليه. ولم تستطع سارة ان تتصور كيف سيكون المكان من دون كيماني. واما هي، فلا بد انها ستفتقد خفة دمه واستعداده للسماح لها بمشاركته في عمله.

واقترب المساء ولم يرجع تيد. غير ان اللاندروفر عاد وتوقف امام

المنزل، فخرج منه ستيف. وحين تطلع الى اعلى السلم رأى سارة واقفة هناك في الظل. فقال لها:

ـ يبدو على وجهك الحزن والكآبة، فهل هذا ما تسببه لك عودتي؟

قالت له على الفور:

ـ كيماني كسر ساقه، وهو في طريقه الآن الى نيروبي.

فاختفت البسمة عن شفتيه وقال لها:

ـ متى حدث ذلك؟

فلما اخبرته قال:

ـ حظه كبير انه نجا. . . وكان عليه ان يعرف ان اللحاق بثور وحشي الى داخل الغابة لا يجوز. . . ما رأيك بكأس من العصير؟

تبعته سارة الى غرفة الجلوس وقالت له:

ـ هل هذا كل ما يعني لك الحادث؟

فالتفت ليتأملها لحظة ثم قال:

ـ والآن ماذا يشغل بالك؟

ـ كان كيماني في خطر الموت، وكل ما استطعت ان تقوله هو انه اخطأ في اللحاق بالثور الى داخل الغابة.

ـ وماذا كان عليّ ان اقول؟

ـ كان عليك التعبير عن شيء من العطف، كما هي العادة.

ـ وماذا يفيده ذلك وهو ليس هنا؟ بل ماذا يفيده ذلك لو كان هنا؟

وتوقف قليلاً عن الكلام، ثم نظر اليها قائلاً:

ـ كيف حال ظهرك؟

فأجابته بايجاز:

ـ على ما يرام.

ـ هذا يجعلني استنتج انك لا تريدين ان تسمحي لي برؤيته مرة ثانية. فليكن. . . ما لم تسؤ حالة الجرح، وهذا بعيد الاحتمال.

قال ذلك وجلس في أقرب كرسي. وحين رآها مترددة لا تعرف ماذا تفعل، قال لها:

ـ اجلسي او فاذهبي والعبي بألعابك كما يفعل الاطفال.

وبعد توقف قليل صاح بها:

ـ بربك قولي ماذا بك!

ولم تكن سارة تعرف بالتأكيد ماذا بها. كل ما كانت تعرفه هو ان التوتر الذي كان يتفاقم في داخلها في غضون اليومين الأخيرين. قد بلغ حدّ الانفجار حين رأته يسير بغير مبالاة امامها منذ دقائق. فكأنما لا شيء يؤثر فيه ولا حنان يختلج في داخله. وهذا ما جعلها تشعر برغبة جامحة في ايذائه، ولكنها لم تعرف كيف تفعل ذلك. فأجابته:

ـ لا شيء يزعجني على الاطلاق. . . ولكني لا احب ان ارى الذين يهمونني يعاملون بغير اكتراث كأن لا شأن لهم ولا قيمة. وأغلب الظن عندي انك لم ترتكب خطأً في حياتك!

فأجابها:

ـ ارتكبت كثيراً من الاخطاء، ولكني لم ارتكب الخطأ مرتين. . . والآن كفي عن هذا الحديث!

فقالت له غاضبة:

ـ لك ان تهدّدني، فترسلني الى الفراش من دون عشاء. . . قل لي: هل تتصرف ايضاً نحو اختك جيل كأب قاس؟

ـ نعم، قبل ان تصبح في الرابعة عشرة. . . أما امرتك ان تكفي عن هذا الحديث؟

ـ ابتعد عني!

وادركت سارة من ملامح وجهه انه لم يعد يطيق تهجمها عليه، ولكنها أبت ان تتراجع. فما كان من ستيف الا ان وقف على قدميه بعد قليل من التفكير وقال لها:

ـ أنت التي طلبت هذا. . .

وأقبل نحوها فهربت عبر الشرفة وهبطت السلم الى ساحة الدار. وكاد قلبها يخرج من بين اضلاعها وهي تسمع وقع خطواته خلفها. ولكنها استمرت في جريها حول المنزل وعبر العشب الى اقرب جدار

لتقفز فوقه وتختبيء بين الاشجار الكثيفة المجاورة. وفاتها ان تتذكر ان ستيف يورك لا يستسلم بمثل تلك السهولة. اذ ما ان دخلت بين الاشجار حتى كان قد لحق بها وامسكها بحزام سروالها وشدّها اليه حتى أوقفها. ثم ادار وجهها اليه وهي ترفسه بقدميها الاثنتين وتضربه على صدره بقبضتيها. وأفلت ستيف حزام سروالها ورفعها عن الارض بيديه وطوّقها بشدّة قائلاً: والآن ماذا عندك لتقوليه لي؟

- لا شيء... دعني وشأني.

قالت سارة ذلك وهي تلهث من الغيظ والعياء. ولكنه لم يستمع بها بل زاد في تطويقها، حتى انه امسكها بركبتيها ورفعها عاليا بحيث التف رأسها على كتفه من دون ان تقوى على الحراك. وكادت تستسلم اليه غير انه لم يشأ، بل حملها الى البيت وألقاها في احد المقاعد وهو يقول:

- مرة اخرى سأسلخ جلدك كما تسلخ الارنبة!

وهنا سمعا صوت هدير السيارة، فنظرا اليها وهي مقبلة على الطريق العام ورأيا ان تيد لم يكن وحده في داخلها. بل كان الى جانبه فتاة تبيّنها ستيف، فاذا هي اخته جيل. هرع الى لقائها عند الباب، ولما توقفت السيارة نزلت منها جيل وارتمت في حضن اخيها. وقالت بفرح:

- أتعرف من جاء معي؟ دون و ديانا. أليس ذلك رائعاً؟

فأفلتها ستيف والتفت الى دون و ديانا وهما يخرجان من مقعد السيارة الخلفي. وكانت ديانا فتاة جميلة ترتدي قميصاً وسروالاً بلون بني، فقال لها ستيف:

- يا لها من مفاجأة! لم افكر يوماً انك تقومين برحلة الى هذه الانحاء!

فابتسمت ابتسامة ابرزت بها ملامح وجهها الغضة المرهفة وقالت:

- وانا كذلك لم يخطر ببالي يوماً انني اقوم برحلة كهذه. ولكن حب

الاستطلاع تغلّب على التردد، فحجزنا أمكنة في اللودج لليلة او ليلتين. هل تظن انه سيكون لديك الوقت الكافي لتكون لنا دليلا يرينا المناظر والمشاهد؟

فسألها ستيف وهو ينظر الى الرجل الذي بجانبها:

- كيف لا؟ هل أنتما هنا لأنكما متشوقان الى ذلك ام لأنكما جررتما اليه جراً؟

فأجابته قائلة:

- مهما يكن، فنحن مسرورون جداً بقدومنا... والآن، هل لك ان تعرفنا الى صديقتك الصغيرة؟

وحتى تلك اللحظة لم تكن سارة تعي انها كانت واقفة هناك تحدق الى الضيوف الجدد.

وقال ستيف:

- اعرّفكم الى سارة مكدونلد، وهي ابنة مدير المركز هنا. اقتربي يا سارة وصافحي دون و ديانا ميلسون.

فصاحت جيل:

- أخبرنا ستيف انك تعيشين هنا منذ تركت المدرسة. واني احذرك من الآن انك ستتحملين كثيراً من جهلي التام بهذه الادغال والمجاهل. فأنا، مثلاً، لا أعرف الافعى من العقرب!

فابتسمت سارة وقالت لها:

- هذا لا يهم... فأخوك ستيف يعرف ذلك.

وضحك دون فجأة وقال:

- هذا يعني يا جيل انك لن تستطيعي ان تجولي في هذا المكان من دون ان يكون ستيف برفقتك!

وحدق الى سارة متأملاً، ثم تابع موجهاً اليها الكلام:

- اظن ان صديقنا ستيف وضع الاحكام والقوانين منذ وصوله الى هنا. فهو يميل الى فرض ذلك على الجنس اللطيف، رغبة منه في ابقائهن تحت سيطرته...

فزجرته أخته ديانا بتحبّب قائلة:

ـ اسكت.

ثم قالت لسارة:

ـ عليك ان تأخذي اخي كما هو. . . فسلوكه ليس دائماً على ما يرام!

اذن، كان دون وديانا شقيقين، وسارة ظنتهما متزوجين. وشعرت بأن عيني ستيف كانتا تنظران اليها، ولكنها لم تشأ ان تبادله النظر فقالت للضيوف:

ـ تفضلوا الى داخل المنزل. فأنتم لا شك بحاجة الى كأس من العصير بعد عناء السفر.

فقال دون:

ـ هذا أفضل اقتراح سمعته حتى الآن.

وتبع سارة الى الداخل وهو يقول لها:

ـ سيري ونحن وراءك!

واكتشفت سارة بعد حين ان دون بامكانه ان يسحر حتى الطيور فتنزل من اعلى الشجر. كان أصغر من ستيف بسنتين او ثلاث على الأرجح. اما جاذبيته فتعود الى مرحه الجامح الذي يكمن في عينيه، فيخفي شيئاً من مسحة السخرية في ملامحه. وفكرت سارة ان مجرد اعجاب رجل كهذا بها كان بمثابة بلسم لروحها المنكسرة. فلا عجب اذن ان تتجاوب معه بحماسة، متجاهلة نظرات ستيف التهكمية.

وكان تيد هو الذي اقترح في آخر الامر ان يقيم دون وأخته ديانا في المنزل طيلة الايام التي سيقضيانها في كامبالا، عوض الاقامة في اللودج. وكان من الصعب معرفة ردة فعل ستيف على هذا الاقتراح من الاشارات البادية على وجهه. على انه قال بعد حين:

ـ اظن من الأفضل ان تشترك جيل وسارة في غرفة واحدة. هذا اذا لم يكن لدى سارة اي اعتراض.

فنظرت سارة الى جيل مبتسمة وقالت:

ـ لا اعتراض عندي على الاطلاق، بل يسرّني ذلك جداً. ففي غرفتي متسع لسرير آخر.

فالتفت ستيف الى تيد قائلاً:

ـ اذن ما عليك الا ان ترسل تيمو لجلب الحقائب. فاذا ذهب الآن بامكانه ان يعود بها قبل حلول المساء.

والتفت الى ديانا مبتسماً وقال:

ـ لا نستطيع. مع الأسف ان نقدم لكم هنا كل اسباب الراحة التي يقدمها اللودج.

فأجابته قائلة:

ـ هنالك تعويض، ولا شك، عن ذلك هنا.

وكانت سارة متأكدة من وجود هذا التعويض الذي كان بمثابة صخرة ملقاة على صدرها. وحين نظرت الى دون وجدته يراقبها وعلى وجهه انطباعات تعكس دهاءه. فبادلته الابتسامة بطريقة خاطفة، ورحبت بتغيير جو المحادثة الذي بعثه ظهور كيكي على الشباك المحاذي لكتفها. وقالت لسارة:

ـ القرود دائماً تثير في الحساسية. . . فأرجو ان لا يدخل كيكي الى غرف النوم!

فقال لها ستيف:

ـ ليس من الضرورة ان يدخل حتى الى المنزل وأنت فيه. وسنبذل كل جهدنا لنبقيه تحت السيطرة. . . لا شك ان القرود مخلوقات محبّبة مسلّية، ولكنها تكون احياناً مزعجة. . . والآن، لماذا لا تأخذين جيل وترينها المكان الذي ستنام فيه؟

فاغتاظت جيل من كلامه وقالت:

ـ انت تحاول ان تزيحني من الطريق، ولكن لماذا العجلة؟

فابتسم ستيف وقال لها:

ـ ليس الأمر كما تظنين. فأنا اريد ان تتعارفا، وهذا يتم بسرعة اكثر اذا كنتما وحدكما.

وتوقفت سارة متجنّبة نظراته وقالت لجيل:

- انه على صواب... فتعالي نغتنم الفرصة ولا نضيع وقتنا.

وكان نجوروجي منهمكاً بوضع سرير اضافي في غرفة سارة وترتيبه، حين دخلت سارة وجيل. فحيّاهما بلطف وابتاس وهو يدخل المخدة في غلافها الابيض النظيف. فقالت له سارة:

- شكراً. بامكاننا نحن ان نكمل ما تبقى.

وأخذت تبسط الشراشف والملاحف على الفراش، فيما خرج نجوروجي وأغلق الباب وراءه. وقالت سارة لجيل:

- نجوروجي يرتب الفراش بمهارة، ولكن ذلك يستغرق منه وقتاً طويلاً.

فضحكت جيل قائلة:

- يبدو لي انه خادم ماهر... وديانا دائماً تتذمر من خدم بيتها، فعليك اذن ان تراقبيها والا اغرته واخذته منك.

وقالت لها سارة:

- هل تعرفين دون وديانا ميلسون منذ زمن بعيد؟

- عرفتهما منذ ثلاثة أشهر. ستيف التقاهما أولاً، ثم دعينا الى قضاء بضعة أسابيع معهما ولكن لم يمض اسبوع واحد على ذلك حتى اتصلت الشركة بستيف وطلبت منه المجيء الى هنا.

رمقتها سارة بنظرة سريعة وقالت:

- ولكنه لم يكن مضطراً الى القبول، اذ كان في عطلة.

فأجابت جيل وهي جالسة على السرير الآخر تراقب سارة تصلح الفراش، من دون ان تعرض عليها مساعدتها:

- يبدو ان الشركة لم يكن لديها سواه في متناول اليد. ثم ان ستيف يعشق حياة البراري. والواقع ان المناخ هنا افضل من المناخ الذي نعيش فيه على الساحل. فمومباسا رطبة المناخ في مثل هذا الوقت من السنة.

- هل تحبين نيروبي؟

- احبها كثيرا. وقد ننتقل للسكن فيها قريبا. فلدى ستيف رغبة في شراء المزرعة التي هي عبر الوادي من مزرعة دون وديانا.

- لم اكن اتصور ان ستيف مستعد بعد تمام الاستعداد لحياة مستقرة.

- لا أدري، ولكنه دائماً يقول ان على الرجل ان يكتنز من الحياة في الثلاثين سنة الاولى ما يكفيه بقية عمره. وستيف على ما اعتقد فعل هذا.

وقطبت جبينها وتابعت قائلة:

- ليت ستيف يشتري المكان الذي ذكرته لك، وبذلك تتكرر لقاءاتنا. فأنا لا أعيش معه عادة اكثر من ثلث السنة.

- يبدو لي انك تعيشين بوفاق مع أخيك.

- نعم... وهل انا مخطئة اذا قلت انك لا تحبينه كثيراً؟

فارتبكت سارة وتساءلت هل ان ما تشعر به نحو ستيف له علاقة بالحب؟ لا شك في ان ردة الفعل التي يلقاها منها لم تكن عادية بسيطة. وآلمها ان يمضي على مجيئه الى المركز خمسة عشر يوماً دون ان يتاح لها ان تعرفه جيداً. فسألت جيل:

- أيكون ذلك لأنني اجده متسلطاً بعض الشيء؟

- نعم.

أجابتها جيل:

- وديانا تدعوه في وجهه رجلاً فظاً لا يحتمل. ولكنها مع ذلك تعترف بأن هذه من الصفات التي تجعله محبباً اليها... هل تعتقدين ان ديانا فتاة جميلة؟

فأجابت سارة وهي تحاول ان تبقي صوتها خالياً من التعبير عن حقيقة شعورها:

- بل هي بارعة الجمال... فهل بينها وبين ستيف... أعني هل تعتقدين ان ستيف سيتزوجها؟

- من يدري؟ فله صديقات كثيرات في مثل جمالها. ولكن أياً منهن

لم تحتفظ باهتمامه طويلاً كما احتفظت هي. فهي باردة المزاج وغير متصنّعة، ولا أحد يستطيع ان يتأكد بماذا تفكر.

ـ لا شك انك معجبة بها...

ـ بكل تأكيد. ولكني من جهة اخرى لا ادري اذا كنت ارغب في ان تكون زوجة اخي.

نعم، غرورها. فحين تكون في جماعة لا أحد سواها يحظى بالانتباه. فهي من الناس الذين ما ان يدخلوا مجلساً حتى يصبحوا محور الاهتمام.

وبعد ان فرغت سارة من ترتيب السرير الاضافي وابتعدت عنه قليلاً لتتأمله، قالت لها جيل:

ـ انه واطىء بعض الشيء فهل انت متأكدة ان ذلك لا يشكل خطراً؟

ـ انا متأكدة جداً. وعلى كل حال، لك ان تأخذي سريري وأنا آخذ هذا السرير.

ـ أحقاً ما تقولين؟ انا بصراحة أفضّل ان أنام بقرب النافذة.

قالت جيل ذلك ونهضت تمتحن رقّاص السرير، ثم عبرت أرض الغرفة الى حيث طاولة الزينة فرفعت عنها صورة موضوعة في اطار وقالت لسارة:

ـ هل هذا والدك؟

ـ نعم.

ـ أنت تشبهينه كثيراً.

ـ هكذا يقال لي... والآن هل نذهب ونجلب أمتعتك من السيارة؟ فعليك ان تخرجي ثيابك من الحقائب.

قالت جيل وهي تنظر من النافذة الى المنحدر:

ـ لدينا متسع من الوقت... قولي لي: كيف تقضين وقتك هنا؟ لا شك ان اللهو محرم بعض الشيء!

ـ لم نكن نشكو من ذلك قبل مجيء أخيك. ومهما يكن، فلا بد ان

يجد ستيف متسعاً من الوقت لمرافقتك هنا وهناك، بعد ان ينصرف دون وديانا.

فأجابت جيل على الفور:

ـ لمرافقتنا نحن الاثنتين، لا مرافقتي أنا وحدي. ودون جلب معه جهازه السينمائي... وتوقفت عن الكلام قليلاً ثم تابعت قائلة:

ـ دون أيضاً شخصية غير عادية... فهو في الظاهر يبدي عدم الاكتراث، ولكنه في الباطن...

وهنا غيّرت الموضوع وقالت:

ـ تزوج مرة فتركته زوجته وذهبت مع رجل آخر.

ـ هل كانت ديانا تقيم معهما آنئذ؟

ـ اظن ذلك، ولكني لست متأكدة. فهما مثل ستيف ومثلي لا اهل لهما. ولكن ديانا تقدر ان تكتفي بذاتها، ولا تقلق اذا هي اضطرت الى العيش وحدها لسبب من الاسباب.

ولاحظت جيل، وخيّل الى سارة ان جيل، بخلاف ديانا، لا تستطيع العيش وحدها. وان ديانا لا تريد ان ترى اي امرأة اخرى تستحوذ على اهتمام الرجل الذي تريده هي لنفسها. فاذا تزوجت ديانا من ستيف فغير مستبعد ان تجد جيل نفسها وحيدة معزولة. وهذا ما جعل سارة تشعر بالحرص على ان لا يتم هذا الزواج.

وبعد ان فرغت جيل من تعليق ثيابها بعد ذلك ببضع دقائق، فتركتها سارة ترتبها وتضعها في الخزانة وسارت الى غرفة الجلوس لتجد دون ديكسون جالساً وحده. لأن ستيف اخذ ديانا في جولة قصيرة حول المركز.

قالت له سارة ببراءة:

ـ ألم تشأ ان ترافقهما؟

ـ أما سمعت بالقول المأثور: اثنان يؤلفان جماعة؟ لو همست بالحرص لمرافقتهما لقطعت ديانا ساقيّ تحتي. هل تدبّرتما أمركما، انت وجيل؟

- بعض الشيء. وهي الآن ترتب ثيابها. هل تريد كأساً اخرى يا مستر ميلسون؟

- اسمي دون، الا يعجبك هذا الاسم؟

- لك ما تريد. هل تريد كأساً اخرى يا دون؟

- أفضّل عليه صحبتك!

وربت على المقعد بجانبه، وأكمل كلامه قائلاً:

- تعالي اخبريني عنك.

- ظننت انني فعلت ذلك من قبل.

- نعم، ولكن يهمني ان اعرف عن تلك الفتاة التي كانت تلجأ مسرعة الى البيت ورجل يحاول اللحاق بها! هل كان ستيف يتصرف نحوك تصرفاً لا يجوز ان يصدر منه؟

فسارعت سارة الى القول:

- كلا. كنا نتحادث. هذا كل شيء. . . وهو يعتقد انني لا ازال طفلة. . .

- هذا قصر نظر منه. فأنت تتحلين بالرصانة والتعقل اكثر من اي فتاة في مثل سنك عرفتها في حياتي. والحياة التي قضيتها منذ بضع سنوات هنا في هذه الاصقاع جعلتك اكثر رغبة في الاستقلال الذاتي. ولعل هذا ما يعترض عليه ستيف. فهو يعتقد ان على المرأة ان تطيع الرجل حين يكون ذلك في صالحها.

فقالت له سارة بعد هنيهة صمت:

- أينطبق ذلك على أختك ديانا أيضاً؟

- بكل تأكيد. ولكن ديانا ماهرة في التلاعب بغرور الرجل. وهي تقبل من ستيف يورك ما لا تقبله من رجل آخر.

فقالت سارة بحذر:

- هل هذا يعني أنها تعشقه؟

ضحك دون وقال:

- لا اعرف الآن شيئاً عن ذلك. ديانا جاوزت عادة البوح

بشعورها لي منذ أمد طويل. . . هذا اذا كانت تفعل ذلك من قبل. وكل ما استطيع ان أقوله هو أنها تميل اليه وتعجب به الى حدّ قيامها بهذه الرحلة التي لا تتوافق مع طبيعتها. فهي تفضل حياة المدن على حياة الريف. ولكنها اذا ارادت الزواج من ستيف فهي قادرة على تغيير اسلوب حياتها للحصول على ما تريد. . . والآن يكفي التحدث عن الآخرين، ولنتحدث عنّا نحن!

- عنا نحن؟

- نعم، انت وانا. . . وكلّي رجاء ان نصبح صديقين!

واحست سارة بقلبها يزداد خفقاناً. كان دون ميلسون ولا شك شاباً جذاباً جداً، وبخلاف ستيف لا ينظر اليها نظرته الى طفلة. ومن غير ان تجد حاجة الى التفكير، قالت له رداً على كلامه:

- كل ذلك يتوقف على ما تتطلبه صداقتنا!

فانسعت الابتسامة على شفتيه وقال:

- لا تتطلب اكثر مما انت تريدين. أنا رجل اقنع بالسير الى حيث يقودني الآخرون. وكبداية هل تخبرينني اين اصوّر افضل اللقطات بآلة التصوير التي معي؟

وكان الآخرون بدأوا يعودون الى المنزل. فتناهت الى سارة ضحكات ديانا وهي تصعد درجات السلم. ونظرت الى دون مبتسمة وقالت:

- يسرني ان احاول مساعدتك في ما طلبته

ودخل النهار في الليل خلسة فلم ينتبه اليه احد. وعاد تيمو من اللودج بحقائب دون ميلسون. ودخلت ديانا الى غرفتها لتبدل ثياب السفر. وحين عادت الى غرفة الجلوس قبل موعد تناول طعام العشاء كانت ترتدي ثوباً من الكتان البسيط الفاخر، ذي اللون الاخضر المتألق الذي ينسجم انسجاماً رائعاً مع شعرها. وسرّ سارة بغتة ان جيل لم تبدل الاّ قميصها. ولأول مرة بدأت ترى انه من المستحسن للمرأة ان تظهر انوثتها من حين الى آخر. هذا مع علمها بأنها لن

تستطيع ان تطمح الى مجاراة ديانا ولو قليلاً في جاذبيتها التي تسترعي الانتباه. . .

وافتقدت سارة غياب كيماني عن الشرفة تلك الليلة بعد تناول طعام العشاء. فهو لا بدّ ان يكون الآن سالماً في احد المستشفيات، وساقه مضمّدة ومستريحة. ومن مقعدها المعتاد قرب حاجز الشرفة اخذت تسترق النظر الى ديانا وهي تتحدث الى الرجال، فتعجب بحسن سلوكها وتصرفها. ثم نهضت فجأة وهي تقول:

- لم أتفقد كيكي والغزال الصغير بعد.

فسمعت دون يخاطبها بقوله:

- انا اذهب معك. اشعر بحاجة الى التمشي قليلاً قبل النوم

وانتظر دون الى ان ابتعدا عن الشرفة مسافة بعيدة عن مرمى السمع فقال:

- أهكذا تصرفين هنا كل وقتك في الجلوس والكلام؟

فأجابته بعد قليل من الصمت:

- نعم. معظمه على الأقل.

ثم نظرت اليه في ضوء القمر وسألته قائلة:

- هل انت ضجر؟

- كلا. ولكني أتعجب كيف لا تشعرين انت بالضجر. وأود ان تعلمي أن ديانا لا تقدر ان تتكيف مع الحياة هنا.

- وماذا تقصد من وراء كلامك هذا؟

- كل ما أقصده هو انها معتادة على العيش عيشة مليئة بشيء او بآخر. فهي بالغة الحيوية. . . اكثر مما يدرك ستيف، على ما أظن.

- ولكنها بدت لي بعد ظهر اليوم انها سعيدة بالمجيء الى هنا.

- وجودها هنا الى حين خبرة جديدة بالنسبة اليها. . . ثم انها ترحب بأية فرصة تتيح لها الاجتماع بستيف. كم من الوقت يتوقع ستيف انها ستقيم هنا؟

- لا اعرف تماماً. ربما الى ان يعود والدي. . . أي بعد نحو شهر

- اذن عليه ان يبذل جهداً في غضون هذا الشهر.

- أنا لا ارى ان في استطاعته ان يفعل ذلك. فبعد نهار مضنٍ من العمل المتعب في البراري لا يريد الرجال هنا بعد ذلك اكثر من الجلوس رافعيّ الأرجل، وبجانبهم كأس مليئة. وتوقفت قليلاً ثم سألته قائلة:

- هل ستيف هنا يختلف عما هو في مكان آخر؟

فأجابها بنبرة تأملية:

- اعتقد انه لا يعارض حضور سهرات اللهو المنظمة. . . وقد تعيد ديانا النظر في علاقتها به بعد هذه الرحلة. فأنا لا استطيع ان اتصورها ترفع رجليها ليلة بعد ليلة، ولو كرمى لعيني ستيف بورك!

ولا انا، قالت سارة في نفسها. ولكن ستيف لم يكن ينوي ان يستمر طويلاً في مثل هذا النوع من العمل، كما قالت لها اخته جيل. وبدا لها ان دون لم يكن يعلم ذلك، ولكن ماذا عن ديانا؟ فهي اذا كانت تعلم بنية ستيف هذه، لتحمّلت بضعة ايام من الضجر هنا للتأكد من ذلك، بعلم بنيته.

وانتظر دون خارج الزريبة. فيما أخذت سارة تعدّ الغزال للنوم. وحين خرجت كان دون يدخن سيكارته ويصغي الى أصوات الليل. فقال لها:

- سمعت مرة اسطوانة سجلت عليها هذه الاصوات، فلم اصدّق الى الآن ان كلها حقيقية. هل ستكرر هذه الاصوات ذاتها دائماً؟

فابتسمت سارة واجابت:

- كلا. فهي احياناً ترتفع. فالقرود صامتة الليلة، ولولا ذلك لعلا ضجيج يصمّ الآذان.

- فلنأمل اذن ان لا يزعجها احد في صمتها.

واستند دون الى احد عواميد السياج، فذكّرها ذلك بأول ليلة بعد مجيء ستيف. وتابع دون كلامه قائلاً:

- هل من حاجة الى الاستعجال في العودة الى البيت؟ دعينا هنا

تتحدث قليلاً.

- ذلك يثير قلق الآخرين. . .

- دعيهم يقلقون. هم يستحقون ذلك. أما فيما يخصّني، فأعدك بكبح جماح عواطفي والامتناع عن مضايقتك.

فنظرت اليه مشككة، وحين رأت ابتسامته اطمأنت فجأة وقالت له:

- يسعدني ان اسمع منك هذا الوعد. اذ كنت اعتقد انك من الرجال الذين لا يضيّعون لحظة في سبيل بلوغ مآربهم!

- الاشياء ليست دائماً كما تظهر، يا عزيزتي!

- أصحيح ما تقول؟ جيل تعتقد انك لست ساحراً ولا عدمياً كما تظهر.

فاستغرب الأمر وقال:

- احقاً هذا ما تقوله الآن؟ لم اكن اعلم انها صرفت دقيقة في التفكير بي. . . وماذا اخبرتك ايضاً عني؟

وادركت انها استرسلت في الكلام على هذا الموضوع، فأجابته بايجاز:

- كل ما اخبرتني به ايضاً هو انك تزوجت و. . .

فقال دون:

- و. . . ماذا؟ لا أظن ان جيل تركت الجملة ناقصة. . .

فقالت سارة:

- و. . . ان زوجتك تركتك وذهبت.

- هذا أسلوب لائق في التعبير عن الحادث. ولكن التعبير السائد هو أنها وجدت لنفسها رجلاً آخر!

وكان في كلام دون ما جذب نظر سارة الى وجهه، فسألته قائلة:

- اليس هذا ما حدث؟

وحين لزم الصمت طويلاً تابعت كلامها قائلة:

- اعتذر عن توجيهي هذا السؤال اليك. فهو امر لا يعنيني.

فقال لها دون:

- لا لوم عليك في ذلك، فأنا استدرجتك اليه. . . من الأسهل بعض الأحيان ان تدعي الناس يظنون ما يشاؤون. ولكن الحقيقة هي ان زوجتي كارولين تركتني لأنها امتعضت من سكن ديانا معنا.

فقالت سارة بتردّد:

- اما كان يمكن لديانا ان تجد مسكناً خاصاً بها؟

- اظن انه كان يمكنها ذلك، ولكن لماذا؟ فالمزرعة نصفها لها، وكذلك المنزل. فكيف لي والحالة هذه ان اطلب منها ان تهجره؟ على ان كارولين وحدها رأت غير هذا الرأي.

قال ذلك وتابع متأففاً:

- فتش عن المرأة! على كل حال، دعينا نختتم هذا الموضوع بالقول ان هنالك اعتبارات يدركها الفريقان، انا وكارولين. . .

وسرّت سارة باختتام الموضوع، وحزنت في الوقت ذاته لأنها هي التي فتحته. فلا بد ان دون تألم كثيراً منه فيما مضى. وهو الآن كما يبدو جلياً يأسف لهذا الاعتداء على خصوصياته. ولذلك فستنسى الموضوع كما ستنسى بامتعاض شديد عدم مبالاة ديانا برؤية زواج اخيها يتحطم، من غير ان تضحّي قليلاً في سبيل انقاذه.

وخيل الى سارة ان ستيف رمقهما بنظرة حادة حين عادا الى الغرفة، ولكنه لم يتفوه بكلمة. واعلنت جيل بعد دقائق انها مرهقة وتشعر بحاجة الى النوم. اغتنمت سارة هذه الفرصة فاستأذنتهم بالانصراف هي الأخرى، بحجة ان جيل تشاركها الغرفة.

وفيما بعد حين كانت مضطجعة في السرير الضيق، وجيل في السرير الآخر وهي مستسلمة لنوم عميق، اخذت تصغي للهمسات والوشوشات الآتية اليها عبر النافذة المفتوحة على الشرفة. وخيل اليها ان ستيف كان هناك مع ديانا يتبادلان بعض تلك الهمسات والوشوشات. ولماذا؟ فهما راشدان كل الرشد ويعرفان ما يريدان من الحياة. هذا فضلاً عن ان الواحد منهما كان يليق بالآخر.

٥ـ اذا وقعت في الحب...

وجدت سارة ان الحياة في كامبالا بوجود جيل وديانا ودون ميلسون تختلف عما كانت عليه من قبل. حتى تيد تحمّس الى حدّ بعيد، فأصبح يعقد ربطة عنق وقت تناول طعام العشاء، بدل الظهور كالمعتاد بقمصانه المريحة المفتوحة الياقة. وسارة نفسها التي لم تذهب في هندامها العادي الى أبعد من النظر بتردّد مرة او مرتين الى خزانة ثيابها، أقرّت لنفسها مكرهة بأنها تشتهي الثياب المرحة التي كانت جيل ترتديها كل مساء. وأدركت كذلك ان قليلاً من الثياب التي كانت تمتلكها اصبحت تلائمها الآن. بل ان هذه الثياب نفسها لم تكن تقاس من حيث الجودة بثياب جيل.

وكان الجميع يذهبون كل يوم بسيارة واحدة، تاركين تيد يهتم بأمر

المركز. وكان ستيف ماهراً في العثور على الطرائد، فيشير الى وجود ثعالب هناك الى اليمين، او اسود هنالك الى اليسار قبل ان يلاحظ وجودها احد. وكانوا يقطعون الغابات والسهول، حتى انهم غالباً ما اجتازوا مساحات من الاعشاب التي كادت لطولها تغطي السيارة. وفي ثاني يوم خرجوا فيه صرفوا ساعة كاملة في مراقبة قطيع كبير من الزرافات عند حافة الغابة. وكانت الزرافات تراقبهم هي الاخرى بعيون واسعة مستطلعة، الى ان بدرت من ديانا حركة تنمّ عن نفاد صبرها، فولّت الزرافات هائمة على وجوهها من دون انتظام.

وكان اجمل الاوقات بالنسبة الى ديانا وقت الظهر الذي كانت تقضيه في اللودج، حيث يتاح لها ان تظهر محاسنها بطريقتها الخاصة بها. فهي بخلاف أخيها دون وجدت الحياة في البراري باعثة للضجر والملل، على الرغم من انها تحمّلت وطأتها بسعة صدر مدهشة. وكانت سارة ترى وهي تعاينها في ثوب الاستحمام الجذاب، انها تفرض الاعجاب الشديد رغم عيوبها. وكذلك كانت سارة على استعداد لبذل الكثير في سبيل الحصول على ما كانت تتحلى به ديانا من ثقة أكيدة بالنفس، في ظروف أبعد ما تكون عن نمط حياتها العادي.

وخرج دون من البركة فاستلقى على العشب بجانب سارة وقال لها:

ـ انا على غير ما يرام... والا لماذا ينهكني التعب بعد الشوطين الأخيرين من السباحة؟ وأنت، هل تنوين النزول ثانية الى البركة؟

ـ لا أظن اني سأفعل.

وكانت عينا سارة تنظران الى ستيف وهو واقف في الطرف الابعد الى جانب ديانا، يضحك من نكتة قيلت بينهما. فرأت جسمه النحاسيّ اللون، المكتنز العضلات، الخالي من اللحم الزائد. وفجأة انتقلت بنظرها الى دون وقالت له: حسبت ان جيل برفقتك.

فأجابها:

- كانت برفقتي الى ان جاء ذلك الفرنسي وانتزعها مني. وهما الآن يتحادثان وجهاً الى وجه على الشرفة ويشربان القهوة... ولا اظن الا ان معرفتي باللغة الفرنسية لا تتعدى معرفتي بها يوم كنت على مقعد الدراسة... هل تحملين معك سكاير؟

فضحكت سارة وقالت:

- هل أبدو كمن يحمل معه سكاير... حتى لو كنت أدخن؟

فتأملها بعين مدرّبة وقال:

- كلا، لا اظن ذلك. فما تلبسينه الآن لا يتسع لعلبة سكاير.. ليتني في التاسعة عشرة الآن، حين تكون كل الحياة أمامي!

فقالت له:

- وهل تعتقد ان الاشياء عندئذ تكون غير ما هي عليه الآن؟

- قد تكون وقد لا تكون. وفي كلا الحالتين لو التقيت واحدة مثلك لتضاعف حظي بالفوز بها... ويخيل اليّ انك اذا وقعت في الحب فلن تخرجي منه رغم أي تأثير خارجي!

وتعمّد دون متابعة كلامه بخفة، فقال:

- هل تعتبرين سن الثلاثين متأخرة، فلا تصلح للبدء من جديد؟

- نادراً ما يكون الامر كذلك!

- كم يشجعني رأيك هذا!

ونهض دون ومدّ يده اليها ليجذبها الى جانبه وهو يقول:

- دعينا نبدل ثيابنا ونتناول كأساً قبل ان نعود ادراجنا الى البيت.

وكانت الساعة جاوزت الرابعة بعد الظهر حين وصل الجميع الى كامبالا. فذهبت ديانا الى غرفتها لتستحمّ وتبدّل ثيابها. واما جيل فغرقت في كرسيّ على الشرفة واخذت تتذمّر لأخيها عن حسن نية، فقال لها:

- أنت تتذمرين من الحياة هنا لأنني انتزعتك انتزاعاً من صديقك الجديد الذي التقيته في اللودج... كان يراودك عن نفسك وانا اقترب منكما... يا له من صياد نساء ماهر!

فقهقهت ضاحكة وقالت:

- يبدو ان لغتك الفرنسية أفضل من لغتي... فأنا لم افهم ربع الكلام الذي كان يكلمني به!

- لست بحاجة الى معرفة عميقة باللغة لتفهمي ما كان يريد ان يعبّر لك عنه... ومهما يكن، فهل من عادتك ان تفسحي في المجال دائماً لكل راغب؟

- لا، ليس دائماً، وانما حين اعرف ان حامي حماي على مقربة مني، وهو متأهب لانقاذي مما هو اشد وادهى من الموت. وعلى كل حال، فهنري عازم على مغادرة المكان غداً صباحاً. هذا ما استطعت ان افهمه منه. ويبدو لي ان القادمين الى هذه الانحاء يستعجلون العودة... الا تظن ذلك؟

فابتسم وقال:

- هكذا يبدو... وما عليك الا ان تنتظري حظك من القادمين الجدد!

فالتفتت جيل الى سارة وقالت لها:

- ما رأيك يا سارة؟ تعالي معي... فان نعمل معاً اسلم عاقبة من ان اكون وحدي ومن بعدي، فليس ما يمنع ان نصبح بقليل من الجهد ملكتي جمال الأدغال!

فقال لها ستيف:

- سارة لا يهمها المراهقون!

- وأنا كذلك لا يهمونني... لا احد يهمني تحت الثالثة والعشرين!

وهنا قال لها دون:

- والى أي سنّ يهمونك فوق الثالثة والعشرين؟

فرمقته جيل بنظرة عاجلة وقالت:

- لم افكر في الامر... فهل من الضروري ان افعل؟

- نعم... لتستقيم الحال!

وصعد تيد على السلم واقبل للانضمام اليهم ثم قال:

- كيف كان نهاركم؟

فأجابه ستيف:

- لا بأس به. هل حدث في غيابنا ما يستحق الذكر؟

فقال تيد وهو يهمّ للدخول الى البيت ليجلب لنفسه كأساً:

- جرح ثور بريّ احد الحراس في ساقه، وفي استطاعتنا ان نعالج الجرح هنا. وعدا ذلك، فكل شيء على ما يرام... ثم ان مغاري ارسل يدعونا جميعاً الى السهرة الليلة.

فسارعت سارة الى القول:

- لأية مناسبة؟

- لم يقل. ولكن ليس من الضرورة ان يكون عندهم سبب خاص لاحياء سهرة... أنت تعرفين ذلك... وقد يكون ان مغاري يريد تكريم ضيوفنا... وسنرى حين نصل الى هناك!

وظهر الاهتمام على ملامح جيل ودون. قال دون لستيف:

- ليتنا نشاهد رقصة قبائلية... هل تظن انهم يسمحون لنا بتصوير بعض المشاهد؟

فأجابه ستيف:

- علينا ان نستأذنهم اولاً... فسهرات كهذه شأن خاص جداً. وانه لشرف عظيم ان ندعى الى هذه السهرة.

والتفت الى سارة وتابع كلامه قائلاً لها:

- انت تعرفين مغاري اكثر مني... فكيف تكون في نظرك ردة فعله على التصوير؟

فأجابته قائلة:

- هذا يتوقف على المناسبة التي بها يحتفلون...

ثم قالت بعد صمت:

- انا لم اكن اعرف انك التقيت مغاري!

- قمت بزيارته منذ نحو اسبوع لاعرفه بنفسي، فاستقبلني

بترحاب. كان حريصاً على الاطمئنان عنك، مما يدل على انك نلت حظوة عنده...

فابتسمت قليلاً وقالت:

- انه رجل مرهف الذوق، ويقدر والدي كل التقدير... وحفلة الليلة ليست اول حفلة احضرها هناك مع انها قد تكون الأخيرة... فكيماني اخبرني ان القبيلة سترحل عما قريب.

- كيماني على حق. فهم مضطرون ان يأخذوا المواشي بعيداً كل يوم للعثور على مرعى جيد.

قال ستيف ذلك واضاف:

- علي ان اتمم بعض المهام قبل ان انهي عملي هذا النهار.

ثم نزل درجات السلم وسار بقامته النحيلة وقميصه الرياضي وسرواله تحت الشمس المائلة الى المغيب.

وقطع دون الصمت الذي اعقب ذهاب ستيف بقوله:

- متى يجب ان نذهب الى هذه السهرة؟

- ربما عند الساعة التاسعة بعدما نكون تناولنا طعام العشاء... الا اذا اردت ان تتعشى دم البقر وحليبه!

فظهر الاشمئزاز على وجه جيل وقالت:

- ارجو ان يكون كلامك مزاحاً.

- لا امزح. قبيلة مغاري عادة لا يأكلون اللحم... وما يأكلونه لا بأس به على الاطلاق.

- هل ذقته؟

- مرة فقط، حين نزلت القبيلة بهذا المكان. وكان ذلك من قبيل اللياقة، كما قال والدي.

- وهل يتوقعون منا ان نذوقه نحن ايضاً... في سبيل اللياقة!

فأجابتها سارة قائلة:

- اذا قدموا لك شيئاً منه، فمن قلة التهذيب ان ترفضيه!

فقالت جيل:

- اذن، لن اذهب الى الحفلة!

وقال دون:

- انها تمازحك، فلا تصدقي كلامها.

فالتفتت جيل الى سارة وسألتها قائلة:

- هل انت تمزحين حقاً؟

اجابتها سارة:

- قليلاً... مغاري يعرف ان الاوروبيين لا يستسيغون نوع الطعام الذي يأكله ابناء قبيلته. ولذلك فلا داع للقلق الشديد. وكل ما عليك ان تفعليه هو ان تجلسي هناك وتشاهدي الرقص وتظهري انك تتمتعين بمشاهدته جداً...

وبعد توقف اضافت قائلة:

- من منكم يجبر ديانا ان ترتدي سروالاً، لأننا سنقعد هناك على الحصيرة على الأرض، والمكان لا بد ان يكون مليئاً بالنمل...

فنهضت جيل وهي تقول:

- انا ذاهبة لأخبرها.. فهي عادة لا تغير ثيابها بعد العشاء!

وكان تيد واقفاً في الباب يتسمع وعلى وجهه ابتسامة عريضة، فحاد عن الطريق ليدع جيل تمر، ثم جلس في الكرسي الذي تركته فارغاً، كأنما كان من الصعب عليه ان يخطو بضعة خطوات للجلوس في كرسي آخر.

وقال تيد:

- على ذكر النمل، هل اخبركم عن تلك المرة التي نصبنا فيها خيامنا قبالة طريق مرت فيها فرقة من نمل العسكر؟

ولم ينتظر الجواب، بل تابع قائلاً:

- في الثانية صباحاً بدأ النمل يقبل نحونا، وحوالى الخامسة اقترب قبل ان يمر بنا. ومثل المد الأسود اجتاح خيمة بعد اخرى، وانا مضطجع هناك على فراشي اراقبه راجيا ان لا تفكر واحدة منه ان تتسلق ساقي!

فقال دون:

- كنت احسب ان نمل العسكر يأكل كل شيء في طريقه. من ذلك ما قرأت في قصة ان النمل جرد رجلا نائماً من لحمه وتركه هيكلا عظمياً.

فأجابه تيد:

- لا بد انه كان مقيداً او غائباً عن الوعي، فأنت لا تستلقي مستسلماً للنمل وهو يزحف عليك. والمهرب الوحيد هو ان تخلع ثيابك وتسرع الى النهر، ولكن حذار الكركدن والتمساح!

وقالت له سارة:

- يستحيل علي ان ادرك كيف تخرج من كل تلك المخاطر سالماً. فهلا اخبرت دون عن صراعك مع الأسد؟

فابتسم تيد وقال:

- احتفظ برواية هذه الحادثة للمراهقين القادمين لتوهم من المدينة..

ورمته سارة بمخدة فوضعها خلف رأسه وقال لها:

- نسيت ان اخبرك ان في غرفتك رسالة من والدك.

فقفزت سارة واقفة والابتسامة تعلو شفتيها وهرعت نحو الغرفة وهي تقول:

- لم اتوقع ان اتلقى رسالة منه بمثل هذه السرعة.

كانت الرسالة من بستون حيث كان والدها ينزل ضيفاً على صديقين قديمين ذكرهما لها في رسالة سابقة. وفي هذه الرسالة تكلم بحماسة عن انه وجد كل شيء في المدينة على حاله... الكنيسة والأكواخ التي على شاطىء النهر. بل حتى الأوز لا يزال هناك. لا شيء على الاطلاق تغير. وكرر ديف ذلك مراراً كأنما لم يكن يصدق نفسه. وكان الصديقان اللذان اقاما عندهما اخاً واختاً من معارفه هناك في بستون. ولم تكن سارة تذكرهما، لأنها كانت حديثة السن حين كانت تلتقيهما. وكانت مولي ارملة آنذاك مات زوجها لست

سنوات خلت، فعادت الى البيت لتعتني بأمر اخيها الذي كان مزارعاً. واثنى ديف على مولي في رسالته تلك الى سارة، فقال انها دائماً متفانية في سبيل الآخرين... ولذلك فهي تستحق من الحياة اكثر مما نالت حتى الآن. ثم قال: ستحبينها يا سارة.

وكررت سارة قراءة هذا الكلام والعبوس يعلو جبينها. وتذكرت ان تيد قال لها مراراً انه كان على ديف ان يتزوج مرة ثانية. فهل يمكن انه يتبين دونها حاجته هذه الى الزواج؟ كانت هي وديف سعيدين معاً في السنوات الثلاث الأخيرة، الا ان الابنة غير الزوجة كرفيقة. وماذا عن الطريقة التي يتحدث بها في رسالته هذه عن امرأة عرفها منذ الصبا؟ فاذا تزوج مرة اخرى، فماذا عساها هي ان تفعل في حياتها ووالدها لا يبقى محتاجاً اليها؟ وشعرت سارة بكآبة شديدة حين خطرت ببالها هذه الفكرة.

وكانت السهرة في اوجها عندما وصل الجميع الى مساكن القبيلة. فاستقبلهم مغاري استقبالاً حاراً واجلسهم على الحصر بجواره وجوار شيوخ القرية. وكانت سارة على يمينه وستيف على شماله. واستمر الرقص من دون انقطاع، فما ان يتعب فريق حتى يستبدل بفريق آخر من الرجال والنساء. وكانت حيوية الراقصين والراقصات مدهشة حقاً، وكانوا ينحنون بين الفينة والفينة ويلتقطون حفنة من التراب ويدعونها تتسرب من بين اصابعهم الى الأرض في حركة تشبه الغربلة.

والتفت دون الى سارة وسألها بصوت خافت:

- ما معنى هذه الرقصة؟ والى متى تطول؟

فأجابته سارة بصوت خافت ايضاً:

- هم يصلون طالبين الخصب للأرض ومرعى لمواشيهم في الموسم المقبل. وقد يطول الرقص ولكننا لسنا مضطرين للبقاء الى النهاية. كل ما اردناه من مجيئنا هذه الليلة هو تلبية الدعوة عملاً باصول اللياقة.

فقال لها دون:

- اذن علي ان اسارع الى اخذ بعض الصور... فهل لك ان تستأذني عني شيخ القبيلة؟

وترددت سارة قليلاً قبل الالتفات الى مغاري لاستئذانه. وحين فعلت تردد مغاري هو الآخر في الجواب، حتى ان سارة ايقنت انه سيرفض طلبها. غير انه اجاب بالايجاب آخر الأمر بعد ان استشار الذين حوله من زعماء القبيلة.

وكان دون قد اعد الكاميرا للتصوير ليلاً، فبدأ في الحال يطوف حول الراقصين ويصورهم على ضوء النار المشتعلة. وبعد بضع دقائق عاد الى مكانه مسروراً فرحاً، ولم ينس ان يقدم الشكر لمغاري.

ثم قام الضيوف مودعين فشيعهم مغاري الى المدخل. وحين هموا بركوب السيارة جلست ديانا بقرب ستيف في المقعد الأمامي فيما الآخرون تكوموا، بعضهم فوق بعض، في المقعد الخلفي. وحاولت سارة ان لا تنتبه الى ما يجري بين ستيف وديانا، ولا ان تصغي الى ما يتحدثان به.

وكانت سارة آخر من نزل من السيارة عند وصولها الى المركز. وهناك تأخرت عن قصد في دخول البيت الى ما بعد دخول جيل وتيد. ثم اعلنت انها ستفتقد كيكي قبل ان تأوي الى فراشها، وحرصت على ان يراها ستيف ويسمعها وهي تطلب من دون مرافقتها وتقول:

- قد احتاج الى حماية!

فقال لها دون مبتسماً:

- هذه هي المرة الأولى التي ادعى فيها لألعب دوراً كهذا. ومشى مع سارة نحو الزريبة مبتهجاً راضياً، ثم سألها قائلاً:

- لماذا تضعين القرد في قفص؟

فأجابته قائلة:

- لأن هذه هي الطريقة الوحيدة لمنعه من دخول البيت طيلة اقامة

اختك ديانا هنا.

واقلتت ذراعه بعد ان ابتعدا عن الشرفة، ثم اكملت كلامها بالقول:

- هذا مع العلم ان القرد لا يجب ان يغلق عليه.

فقال دون:

- لن تطول اقامتنا هنا، وديانا لا تستطيع ان تغير موقفها من القرود.

فقالت سارة:

- اعرف ذلك... وكيكي لن يتأذى من بقائه في القفص لبضعة ايام. وما قلته بخصوص ديانا لم يكن الا من قبيل الخبث... وانا اعتذر.

فضحك دون وقال:

- ما اصرحك وابعدك عن النفاق يا سارة مكدونلد... انا لم التق من قبل شبيهاً بك.

فنظرت اليه بطرف عينيها وقالت:

- هذا ما سمعته من احدهم يوماً ليس ببعيد.

- احدهم؟

- نعم. هو فتى طيب القلب... دعاني لزيارته في الولايات المتحدة الاميركية.

- وهل ستلبين الدعوة؟

- قد افعل يوماً من الأيام. ويوماً من الأيام قد افعل كثيراً من الأمور... ففي رأي بعض الناس انني خسرت الكثير باقامتي في هذه الأدغال طيلة السنوات الثلاث الأخيرة... فهل تظن يا دون انني فتاة متخلفة؟

- انا اظن انك ساحرة تمنين بالأمال الخادعة.

قال ذلك وامسكها بكتفيها وادارها نحوه وهو يبتسم في وجهها عبر الظلام، ثم تابع كلامه قائلاً:

- في وسع القرد ان ينتظر دقيقة او دقيقتين... الا توافقين؟

فقالت له سارة:

- نعم، اذا اقتضى الأمر.

ثم تابعت بعد تردد:

- افضل ان لا تفعل شيئاً يا دون... فانا لا اشعر بميل الى المغازلة الآن... ولا اقول ذلك عن حياء او خجل، بل لأنني...

فقاطعها دون قائلاً:

- بل لأنك غير متأكدة من حبك لي الى حد المغازلة... لا بأس. لن اصر على ذلك. يبقى ان انبهك الى شيء، وهو انه يجب ان لا تبدأي بالمداعبة اذا كنت لا تريدين ان تكملي الطريق الى النهاية... فقد لا تجدينني في المرة التالية في مزاج سلبي كما انا الآن!

فوعدته سارة بانها ستعمل بنصيحته. ثم امتدحته لطيبة قلبه ولباقته وهما يسيران نحو الزريبة. وبعد ان قاما بواجبهما نحو كيكي قفلا عائدين الى البيت.

وكان ستيف ينتظرهما في اعلى درجات السلم المؤدي الى الشرفة، فوجه سؤاله الى سارة قائلاً:

- هل كل شيء على ما يرام؟

فحدقت اليه بحدة وقالت:

- نعم... ولم يكن من واجباتنا ما يعكر رجوعنا.

فاجابها:

- الحق معك. وعلي الآن ان اكتب تقريراً قبل النوم... ارجو لكما ليلة هانئة.

وكانت جيل لا تزال نائمة حين نهضت سارة من فراشها في السادسة صباحاً. وما ان خرجت من الغرفة حتى وجدت ستيف منحنياً على حديد الشرفة. فحياها تحية الصباح وسألها اذا كانت جيل استيقظت من نومها. فأجابته بالنفي وقالت له انها ذاهبة الى اعلى المنحدر. قال لها:

- اعرف ذلك. . . فانت تقضين كثيراً من وقتك هناك.

فأجابته:

- هذا صحيح.

بادرها بالقول:

- هل تمانعين اذا رافقتك؟

فأجابت من دون ان تلتفت اليه لئلا يبوح له وجهها باكثر مما تريد ان تبوح به:

- لا اظن انني اقدر ان امنعك. . .

ثم ندمت على خشونة جوابها، فاستدركت قائلة:

- في الواقع انا لا امانع، بل يسرني ان ترافقني.

وكانت سارة تشعر بقامته المديدة وهو يسير بجانبها في الطريق الى سفح المنحدر. وسرها انه لم يمد يده لمساعدتها على التسلق كما فعل ترافس من قبل. كان وراءها تماماً حين وصلا الى المكان المعهود، فالقى نظرة على الارجاء البعيدة وهو يتناول علبة السكاير. قالت له سارة:

- انت تكثر من التدخين.

فرمقها بنظرة وقال:

- هكذا تقول لي جيل. فهل تهمك صحتي؟

اجابته قائلة:

- نعم، اذا كان اهتمامي في محله.

ثم اشارت بيدها الى المسافات الشاسعة المحيطة بها وقالت:

- ما رأيك؟

فأجاب قائلاً:

- يا له من مطل رائع. . . لا عجب انك تحبين المجيء الى هنا، خصوصاً في مثل هذا الوقت من النهار.

وتوقف قليلاً، ثم تابع كلامه قائلاً:

- ستفتقدين هذا كله عندما تغادرين هذه الانحاء يوماً ما، الا

تظنين ذلك؟

- نعم، سأفتقده.

- هذه حال الدنيا. ففي يوم من الأيام لا بد ان تلتقي احداً تتزوجينه ولا يكون بالضرورة راغباً في الاقامة هنا.

- لماذا يطلب دائماً من المرأة ان تضحي؟

- لأن الرجل هو المعيل، وهو لذلك له الحق في ان يختار اين يعيش ويرتزق.

- حتى لو كانت زوجته غير سعيدة في المكان الذي يختاره؟

- اذا كانت تحبه كفاية فلا فرق عندها. فالمرأة يجب ان تكون على استعداد لأن تتبع زوجها الى اقاصي الأرض عند الاقتضاء.

وهنا تساءلت سارة اذا كان يفكر بديانا. أيكون انها افهمته بصراحة ان الاقامة لبضعة ايام في الادغال هي كل ما تستطيع ان تتحمله من الحياة؟ ولعل فكرة شراء المزرعة القريبة من مزرعتها لم تكن الا من قبيل التسوية كوسيلة للحصول على المرأة التي يريدها، مع الاحتفاظ بشيء من الاستقلال في طريقة الحياة. على ان سارة لم تكن تعتقد ان ستيف من الناس الذين يقبلون بالتسوية مهما تكن الظروف. ولكن قد يكون اعتقادها هذا نابعاً من عدم رغبتها في ان تراه يتصرف غير ذلك التصرف.

وساد الصمت بينهما لبضع دقائق. واكمل ستيف تدخين سيكارته واطفأ ما تبقى منها، ثم استند الى الصخرة وقال لسارة:

- اظن انك سمعت بما يشاع عن زوجة دون.

فقالت له:

- نعم، سمعت انه كان متزوجاً.

- هل تميلين اليه؟

- هو رجل جذاب. . . ولي من الخبرة ما يكفي لمعرفة ذلك على الاقل.

- لن اجادلك في هذا الأمر. ولكن لو كنت مكانك لما اكترثت بأي

شيء يقوله لي. . . هو لا بأس به، سوى انه لا يأبه بالشعور المرهف.

- تريد ان تقول انه غير موثوق به، فهل تعرفه كل هذه المعرفة؟

- اعرفه اكثر منك على كل حال. . . وانا احاول ان اكون لبقاً في التحدث اليك عن هذا الموضوع، فلا تتسرعي بابداء آرائك قبل ان انهي كلامي. . . دون يلقي اللوم كله على زوجته لفشل زواجهما. ومع انه قد لا يكون مقتنعاً كل الاقتناع باتهامه هذا، الا انه مصمم على اشراك كل امرأة اخرى في اللوم. . . وانا لا اريد ان يصيبك اي اذى.

فرفعت سارة رأسها وقالت:

- لن يصيبني اذى من اي مخلوق. . . وقد تستغرب قولي لك ان مغازلة شخص لا تعني لي شيئاً.

فقال بحدة:

- اذن، فقد غازلك!

فعضت سارة على شفتها. ولكن كبرياءها ابى عليها ان تتراجع، فقالت:

- لماذا لا؟ فأنت غازلتني ايضاً.

فكظم ستيف غيظه وقال:

- لم انس ذلك. ولكن هناك فرقاً بيني وبينه.

اجابته قائلة:

- لا حاجة بك ان تخبرني بذلك. . . هناك فرق شاسع بينك وبين دون. ولو انت عرفت السبب الحقيقي لترك زوجته له، لوفرت عليك توزيع الشكوك هنا وهناك!

فحدق اليها والتصلب باد على قسمات وجهه، وقال:

- هيا، اخبريني!

فقالت له:

- ليس لي انا ان اخبرك. . . اسأل من هو اقرب اليه مني!

- تعنين ديانا؟ وهل تظنين ان لها علاقة بما حدث لدون وزوجته؟

فنهضت سارة فجأة بعدما رأت ان الحديث عن هذا الموضوع تجاوز حده، وقالت:

- انا نازلة من هنا.

فقال لها بلهجة التحدي:

- لا اسمح لك بالنزول الى ان تخبريني بقصدك من وراء هذا التصرف كله. فأنا لم اعرف في حياتي احداً يشاكس مثلك حباً بالمشاكسة. ولعله من حسن الطالع ان اقامة دون واخته هنا لن تطول اكثر من بضعة ايام اخرى. فمن شيمك ان تعمدي الى تشجيع دون على التعلق بك لمجرد رغبتك في الاقتصاص مني!

فقالت له وقد نجحت في كظم غيظها:

- لا تمدحي نفسك. ان كنت اشجع دون فلأني لأول مرة اجد من يعزو الي بعض الذكاء. . . فأنت منذ وصلت الى كامبالا اخذت تتصرف كأن لا احد سواك يعرف شيئاً عن مهام وظيفتك، بمن فيهم والدي. ومنذ اليوم الاول لوصولك بدأت تلقي ثقلك هنا وهناك، ولم تتوقف عن ذلك بعد. حتى انك عمدت الى تدمير هذا المكان لأجلي.

وبعد صمت قصير قال لها ستيف:

- دعينا نتصارح بصدق. انا لا اعرف والدك شخصياً، ولكن من يسافر الى انكلترا ويترك ابنته وحدها في مكان ناء كهذا لا يبرهن في نظري عن اي شعور بالمسؤولية.

فسارعت سارة الى القول:

- لم يتركني وحدي. فهنا تيد وكيماني.

- صحيح، ولكن لا احد منهما على ما يبدو في وضع يمكنه من فرض اية رقابة على تحركاتك.

- كلامك هذا يخالف ما قلته لتيد يوم انكسر معي محور دواليب السيارة.

ـ نعم، لم اقل ذلك لتيد، لأني في تلك الساعة كنت مستعداً ان انقض على اي كان من دون تردد. . . انا ارسلت الى هنا للقيام بمهمة معينة، لا لأتولى تربية اولاد الآخرين. فلو كنت متعقلة منذ البدء لجرى كل شيء بيننا على ما يرام. . . والآن اريد ان اعرف متى تدركين الفرق بين الفضول وحسن السلوك؟

وهنا تساءلت سارة بينها وبين نفسها ما دخل حسن السلوك في هذا الصدد، ثم قالت لستيف:

ـ هل انت متأكد انك تعرف الفرق؟ قد يكون من الخير لي ان اقع في غرام دون، وان لم يعلمني غير ذلك الدرس الذي تعتقد على ما يبدو اني احتاج اليه. ومن جهة ثانية فقد اكون في اخر الأمر تلك الفتاة التي يحتاج هو اليها!

ـ هذا لا اشك فيه. فبعض الرجال يسرهم ان يعلموا الصغار البريئين حقائق الحياة! ولكن مع الأسف لن يكون لدون الوقت الكافي لذلك. واذا اضطررت فسأتحدث اليه عن هذا الأمر بنفسي.

فاحمر خداها من الغضب وقالت:

ـ لا يحق لك ان تفعل. فهذا الأمر لا علاقة له بوظيفتك في المركز هنا. وعلى كل حال، ماذا يجعلك تعتقد ان دون يبالي بما تقوله له؟

ـ اذا لم يبال فسيعود الى حيث اتى في مدة اقصر مما يتوقع. والخيار خيارك. فإما ان تنتبه انت عن محاولة اكتسابك، واما ان أفعل ذلك بنفسي. . .

وهنا تشعب الموضوع كثيراً في نظر سارة. ولم يكن الوقت وقت جدل في ذلك. فلا شك ان لستيف كل القدرة على ان يفعل ما يقول، غير انه لو فعل لحمل دون على الاعتقاد انها اخذت ما جرى بينهما بكثير من الجد حتى طلب مشورة ستيف.

فقالت رداً على كلامه:

ـ هذا ليس خياراً، بل انذاراً!

فأجابها بنبرة لا مبالية:

ـ افهميه كما تشائين.

تزايد غضبها ولكنها حاولت كبته وهي تقول له:

ـ دع دون جانباً في العلاقة بينك وبيني، وانا لن اسمح له بأن يقترب الي بعد اليوم. . . والآن هل لي ان اعود الى البيت؟

فأجابها قائلاً:

ـ بل نعود معاً.

وكان نجوروجي يرتب مائدة الطعام على الشرفة حين وصلا الى البيت، فحياهما بسرور وهو يقوم بعمله. وغاب ستيف في مؤخرة الشرفة. فيما جلست سارة في كرسيها تتمنى فجأة لو انها رافقت والدها الى انكلترا.

٦ - الألم واللذة معاً

كانت نهاية الاسبوع هادئة: فبعد يومين من التجول المضني في الاحد، ووقع دون وديانا وجيل بقضاء الوقت على الشرفة وحول البيت في حالة استجمام. وما عدا جولة قصيرة يوم الاحد صباحاً، لزم ستيف مقر المركز أيضا، كأنما اراد ان يوحي لسارة بالانزعاج وقررت ان لا سبيل الى راحة البال الا برحيل دون وديانا ميلسون.

وهبت عاصفة مساء الاحد استمرت الى ما بعد أن تناولوا طعام العشاء. ثم أعقبها نسيم بارد حال دون جلوسهم على الشرفة لتناول القهوة، فتفرقوا هنا وهناك في غرفة الجلوس.

وجلست سارة على السجادة بقرب كرسي تيد، واسندت ظهرها الى جانب الكرسي وهي تحاول ان لا تلاحظ كم كانت ديانا ملتصقة

بستيف في جلوسها قربه على المقعد المزدوج، وكيف كانت أنامل يدها اليسرى تلامس ذراعه بغنج وهي تنحني لتضع بيدها اليمنى فنجان القهوة على الطاولة القريبة من ركبته. وفكرت سارة ان كل شيء تفعله ديانا كان مدروساً ومتعمّداً.

وبدا القلق على جيل بعد ان مرت العاصفة. فأخذت تنتقل من نافذة الى اخرى، وعندما نفد صبرها، وضعت اسطوانة في الفونوغراف ووقفت تستمع قبل ان تلتفت الى دون بابتسامة مفاجئة لتقول:

- تعال نرقص. سأجن اذا طال قعودي على هذه الحال!

فابتسم دون رداً على ابتسامتها. ثم نهض ليلبّي طلبها. فسار بها الى وسط الغرفة بقامته المديدة ومظهره الوسيم. وكانت جيل الى جانبه تشع حيوية وفتوناً. وهي التي لم تعرف دون معرفة خارجية اكثر من ثلاثة اسابيع.

وحين رأتهما سارة عادت بالذاكرة الى اول ليلة بعد وصول جيل برفقة دون وديانا الى المركز. ففي تلك الليلة قال لها دون ان جيل لا تطيق حياة الهدوء في المركز. وتبيّن لها الآن انه كان على حق. ورمقت ستيف بنظرة خاطفة، فاذا هو ايضاً يراقب جيل ودون. من غير ان تبدو على وجهه امارات القلق، مما يدل على انه لم يكن يرى أي خطر على جيل من مغامرة دون. ولعل ذلك مرده الى ثقته بحسن تقديرها للأمور. وتساءلت سارة كيف سيعالج ستيف هذا الوضع المستجد. هل سيعامل جيل بشأن علاقتها مع دون كما عاملها هي في صباح يوم امس؟

وتوقفت الموسيقى فابتعدت جيل عن دون لتذهب وتضع اسطوانة اخرى. فأسرع دون نحو سارة وانهضها من مكانها. غير مبال باحتجاجها، وقادها الى وسط الغرفة وأخذ يراقصها وعيون الجميع شاخصة اليهما. وكم سرّها ان يطرأ عطل على الاسطوانة لتعود فتجلس مكانها. فقالت لها ديانا:

- لا بأس برقصتك كناشئة. وبقليل من التمرين تصبحين راقصة بارعة. ومن الأسف ان تكوني بعيدة جداً عن أي نوع من اللهو والتسلية هنا... ليتك تأتين وتقيمين معنا بعض الوقت فنريك كيف يعيش بقية الناس في هذا العالم.

وخطرت ببالها فكرة فتوقفت عن الكلام، ثم تابعت قائلة لها:

- بل لماذا لا تأتين معنا حين نعود يوم الثلاثاء المقبل؟ فوالدك سينتهي من عمله هنا ويعود هو الآخر بعد ثلاثة أسابيع. أليس هذا صحيحا؟

أجابتها سارة بالايجاب، فقالت ديانا:

- وهكذا تكونين في نيروبي لملاقاته في المطار. والى ان يحين الوقت تصرفين وقتاً ممتعاً. وانا متأكدة ان جيل ترحب برفيقة مثلك في البيت لمدة اسبوع او اسبوعين، الى ان يعود ستيف لاكمال عطلته.

فساد الصمت قليلاً، واحمرّ وجه جيل، أما ستيف فانتصب في جلسته وحدق الى أخته قائلاً:

- جيل؟

فتطلعت ديانا من واحد الى آخر وقالت لجيل:

- ألم تخبري ستيف بعد؟

فسألها ستيف بصوت حادّ النبرة:

- تخبرني ماذا؟

والتفت الى جيل قائلاً لها:

- كنت أحسب انك ستبقين هنا أسبوعا أو اسبوعين آخرين يا جيل!

فأجابته بتردّد:

- هكذا كنت أنوي... ولكني لم اكن ادرك كم هي الحياة مضجرة مملّة هنا... سارة اعتادت عليها. واما أنا فأفقد صوابي اذا اضطررت لقضاء كل نهار وكل ليلة على وتيرة واحدة. يؤسفني ذلك يا ستيف... فأنت تعرف كم أحب ان أكون معك.

فأجابها ستيف قائلاً:

- ولكن ليس على حساب متعتك الخاصة! على كل حال، لك ما تشائين. اني أتفهم موقفك... كان عليّ أن افطن الى ذلك من قبل.

ثم نظر الى سارة قائلاً:

- وأنت، ما رأيك؟

ولم تعرف سارة ماذا تجيب. فاذا كان لستيف بعض التحفظ حول علاقتها هي بدون هنا في كامبالا، فإن تحفّظه حول علاقة جيل به يشتد ولا ريب وهو بعيد في نيروبي. واذا كان دون يلعب لعبة ضرب الواحدة بالاخرى، كما اتضح لسارة تلك الليلة، فوجودها في بيت دون وديانا لا يعزز صداقة جيل لها. ولكن اذا لم تذهب الى هناك فقد يستغل دون ميل جيل الواضح اليه اكثر مما ينبغي. فهي حين رأت جيل تلتصق التصاقاً من دون ان ينتبه الى وجودها، لم تعد متأكدة من أنها كانت مدركة فهيمة كما ظنت لأول وهلة.

وفيما يتعلق بدون فان رأيها فيه تبدّل فجأة حين تعمّد ان يترك جيل واقفة الى جانب الفونوغراف ليراقص فتاة اخرى. فهل كان ستيف على حق في قوله ان دون يحبّ ان يؤذي؟

وكان الجميع ينتظرون جواب سارة على سؤال ستيف لها بخصوص ذهابها الى نيروبي، فقالت ببطء:

- لا أملك الثياب الضرورية لزيارة كهذه، ولذلك يؤسفني ان لا ألبي الدعوة.

فقال لها تيد:

- بامكانك ان تشتري لك ثياباً هناك. فأنت لم تصرفي شيئاً من المال الذي تركه لك ديف في البنك عندما كنت آخر مرة في نيروبي. ثم ان ذهابك الى هناك يتيح لك زيارة كيماني في المستشفى.

وبدا كلام تيد مقنعاً، فما كان من سارة الا ان التفتت الى ديانا وقبلت دعوتها شاكرة لها حسن ضيافتها. فأعربت ديانا عن سرورها وقالت لها:

- عليك ان تسمحي لي بان أريك أجمل مخازن الثياب في نيروبي، فتشتري ما يلزمك هناك وهنا كذلك.

ثم نظرت الى ستيف بدلال وقالت موجهة الكلام اليه:

- نأمل ان نراك انت ايضاً في المدينة بعد ثلاثة اسابيع.

فأجابها قائلاً:

- سأكون هناك.

وما ان أطلّ الاثنين حتى كانت سارة ندمت على قبولها الدعوة. غير ان ندمها جاء متأخراً.

أيكون سبب ندمها أسفها لفراق ستيف اكثر من أسفها لمغادرة كامبالا ولو الى حين؟

كانت علاقتهما قصيرة تتصف بالهيجان واحياناً باثارة الغضب، ولكن حياتها تغيرت منذ قدومه مع انه لا يزال ينظر اليها نظرته الى فتاة مراهقة مزعجة. فالمرأة التي يريدها هي ديانا، ديانا التي يريدها كل رجل.

وكانت سارة لا تزال مستيقظة في الساعة الثالثة ليلاً. عندما سمعت باب ستيف يفتح وينغلق بهدوء. ومن دون أي تفكير انسلت من فراشها وفتحت باب غرفتها ووقفت تصغي. فاذا بها تسمع صوتاً آتياً من غرفة الجلوس على الرغم من انها كانت مظلمة. فتقدمت نحو الغرفة بهدوء وفتحت الباب على مهل، ولما لم تبصر احداً دخلت فسمعت ستيف يقول لها:

- أمستيقظة انت ام نائمة؟

وكان ستيف جالساً في كرسيّه بعيداً عن الباب. وشعرت سارة انه كان يتوقع مجيئها ولذلك جلس هناك ينتظرها. وسرّها وجود العتمة في تلك اللحظة، فلا هي استطاعت ان تراه بوضوح ولا هو كذلك.

فقالت له:

- سمعت صوتاً ولم أعلم انه صوتك.

فقال لها:

- صوت من كنت تتمنّين سماعه؟

فترددت قليلاً قبل ان تجيب قائلة:

- من عادة تيد ان يتجول في مثل هذه الساعة.

فقال ستيف:

- هو الآخر أيضاً؟ يبدو اننا جميعاً مصابون بالأرق... وعلى كل حال فخير لك ان تلبسي شملة من نوع ما اذا كنت تنوين التجول في الليالي اثناء اقامتك مع دون وديانا... والا كنت عرضة للزكام...

فقالت:

- اعذرني اذا كنت أزعجتك.

وتعمّد ستيف اثارتها فقال:

- لم تفعلي شيئاً الا لإزعاجي منذ جئت الى هنا... والآن هل تشوقين للسفر غداً الى نيروبي؟

- لماذا لا؟ خصوصاً اذا كان سفري يوفّر عليك الانزعاج!

- لكننا سنلتقي ثانية... وحينذاك أرجو ان تكوني اقلعت عن كرهك الشديد لي!

- من قال اني اكرهك؟ أنا لا اكرهك على الاطلاق...

- بل، كان كرهك لي واضحاً من تصرفاتك نحوي.

- اذا كان الامر كذلك فأنت الذي حرضتني...

تأملها ستيف قليلاً ثم لاحت على شفتيه ابتسامة وهو يقول لها:

- أهكذا تظنين؟ قد تكونين على حق، فبك شيء، يحرّض أي انسان على اثبات شخصيته. فأنت تسرفين في استقلاليتك، ولو تعلمت ان تعتمدي قليلاً على الآخرين لنلت الكثير مما تتوقين اليه.

قالت له سارة:

- فات أوان الاعتماد عليك مع الأسف!

فأجابها بشيء من العطف:

- كلا، لم يفت الأوان...

ثم اضاف بعد قليل من الصمت:

- أود ان تعاهديني على شيء ياسارة.

فقالت له:

- ما هو؟

- ان لا تدعي دون يقف بينك وبين جيل... كانت العلاقة بينكما طيبة الى ليلة الاحد... ولا اظن ان دون يستحق الاهتمام بهذا المقدار.

- هل أخبرت جيل بذلك أيضاً؟

- لا فائدة من ان أخبر جيل بأي شيء الآن. فهي مفتونة به ولا اظنها تقبل سماع أي كلام ضده.

وأسند ستيف ذراعيه على ركبتيه وقال لها:

- انا بحاجة الى مساعدتك يا سارة.

فلزمت سارة الصمت طويلاً ثم قالت:

- أنت تريدني أن احاول اقناع جيل بأن دون لا خير فيه، فأعامله بازدراء...

فقال لها ستيف:

- نعم، شيء كهذا.

- لماذا لا تقول له أنت ان يتركها وشأنها؟ أو... وهذا أسهل... لم لا ترسلها الى مومباسا حيث لا يمكنه الوصول اليها؟

- لأن الطريقتين غير نافعتين. اريد جيل ان تقتنع هي بنفسها ان دون ليس كما هو في الظاهر وبذلك تبتعد عنه.

- ولكن لنفترض انه مغرم بها حقاً، وهي كذلك. فهل تظل غير راض عنه؟

- نعم، لأن الفرق في السن بينهما كبير. وهذا سبب مهمّ.

- أنا لا ارى لهذا الفرق علاقة بالأمر.

- كيف تقولين ان لا علاقة له بالأمر؟ على كل حال، فهذا الموضوع ليس وارداً. كفاك مراوغة يا سارة! فأنت ليلة الاحد أدركت من هو دون على حقيقته وفي مقدورك ان تفتحي عيني جيل على هذه

الحقيقة.

أجابته سارة في آخر الأمر:

- سأحاول جهدي. لا تلمني اذا اخفقت فجيل تشبهك كثيراً. انها لا تتقبل مداخلتي في شؤونها!

فلاح الغضب على وجه ستيف وقال:

- ما هذا الكلام؟ آه تعرفين كم تساهلت معك في الاسابيع الأخيرة!

فقالت له بعصبية ظاهرة:

- ان كنت على قدر من النضج يخولني القيام بما أوكلت الي، فبالأحرى ان اكون ايضاً على قدر من النضج يجعلك تعتبرني بلغت سن الرشد... كفاك معاملتي كأني فتاة قاصرة!

ومالت متجهة نحو الباب فصدمت قصبة رجلها بحافة المقعد وصرخت من الألم.

فأسرع اليها ستيف وحملها بذراعيه الى احد الكراسي. ثم ركع امامها واخذ يفرك مكان الوجع برفق وبعد حين مال الى الوراء وأخذ يتأملها بابتسامة باهتة وقال:

- هل خفّ الألم.

وكانت تشعر بالألم واللذة معاً حين رأته راكعاً امامها بوداعة ولطف، حتى انها كادت تمد يدها وتضع أناملها على شفتيه. وقالت:

- الأفضل ان أعود الى فراشي... فغداً سيكون يوماً متعباً.

فقال ستيف:

- فكرة جيدة... ولا تنسي ما دار بيننا الآن من حديث.

فوعدته خيراً وتمنّت له ليلة سعيدة...

٧ ـ حب في المزرعة

كانت مزرعة آل ميلسون تبعد عن نيروبي مسافة عشرة أميال وتقع على سفح تلال نكوك. وكان المنزل على الطراز الأسباني في البناء ويثير الاعجاب.

ومن كان كسارة معتاداً على المنزل المتواضع الذي تقيم به في كامبالا لا بدّ ان يجد ذلك المنزل رائعاً بأثاثه ورياشه الفاخر وأرضه المفروشة بالبلاط النفيس. وكان واضحاً ان آل ميلسون لم يكونوا يعتمدون فقط على دخل مزرعتهم، والا فكيف كان في وسعهم ان ينفقوا على رحلات النزهة والاستجمام كالتي قاموا بها الى كامبالا؟

وتعرفت سارة الى باري سيمور مدير أعمال دون، الذي أوكل اليه أمر المزرعة طول الاسبوع الأخير، فلاحظت في الحال كيف كان

يتتبع حركات جيل وسكناتها على غير انتباه منها.

وكانت نيروبي تغص بالسياح، والشارع الرئيسي الواسع يضيق بالسيارات. واشترت سارة بمشورة ديانا وجيل فستانين من الكتان للاستعمال اليومي، وفستانا رابعا طويلاً ملوناً بظلال من الازرق له فتحة عنق مقوّرة وأكمام اعتبرتها ديانا ضرورية اذا ما خطر للجماعة ان يزوروا نادي الريف في اثناء وجودها بينهم. وكان لدى سارة فضلاً عما اشترته عدة سراويل في حالة ممتازة، مما جعلها تمتنع عن انفاق المزيد من المال على ثياب قد لا تحتاج اليها بعد رجوعها الى كامبالا.

وتمكنت سارة من عيادة كيماني في المستشفى. فوجدته مستسلماً للبقاء هناك مرغماً لمدة اسبوع او اسبوعين. فالكسر في ساقه لم يكن من السهل تطبيبه، حتى انه شك في تمكنه من العودة الى مارا في الغد المنظور. وتركته سارة بعد ان وعدته وعداً قاطعاً انها ستعوده مرة ثانية في المستشفى قبل رجوعها.

وكانت جيل هي التي اقترحت على سارة أن تغير زينة شعرها. وقالت ان له لوناً غير عادي فحرام ان لا يعطى له الشكل اللائق به ما دامت الفرصة سانحة. فقبلت سارة هذا الاقتراح بالروح الودية التي قدمته جيل بها، ورافقتها الى المزين. وحين خرجت بعد ساعة كان لشعرها شكل جديد أحدث تغييراً في تكوين هيئة وجهها، مما أثار اعجاب دون حين رآها. وقال لها:

ـ هذا مثال على ما يمكن أن يفعله قليل من التجميل... والآن صار علينا ان نهيء ليلة ساهرة.

فقالت له أخته:

ـ ما رأيك في سهرة بالنادي؟ زارته جيل مرة فشعرت ان جوّه ودي للغاية. وبامكانك ان ترافق جيل وسارة، فيما أنا ابقى هنا في نهاية الاسبوع لتصريف بعض الاعمال.

فسارعت سارة الى القول:

ـ لماذا لا نطلب من باري ان يكون رابعنا؟
ففوجيء دون بهذا الاقتراح وصاح:
ـ باري؟
قالت له ديانا:
ـ نعم، باري. ولماذا لا؟
ورمقته بنظرة ساخرة واضافت:
ـ انه يحمل عنك ثقل فتاتين!
فقال دون:
ـ لا مانع عندي... سأدعوه اليوم بعد الظهر، الا اذا شاءت جيل ان تدعوه عني.
فأجابت جيل:
ـ هذا ليس من شأني...
وارتجفت نبرة صوتها قليلاً، ثم تابعت قائلة:
ـ سأستريح قليلاً قبل الغداء... كان الحر شديداً في السيارة.
وساد الصمت بعد ان غادرت جيل الغرفة. وكانت ديانا اول من تفوهت بكلمة، فقالت:
ـ وأنا ايضاً عندي ما اعمله.
وخرجت تاركة سارة ودون وحدهما.
فقال لها دون:
ـ لماذا باري؟
فنظرت اليه سارة وجهاً الى وجه وقالت:
ـ ولماذا لا؟ لا أحسب الا انه رجل حلو المعشر.
قال دون:
ـ انه معجب بجيل.
وحين قالت سارة ان لها علماً بالأمر ابتسم دون وفاجأها بالقول:
ـ يا لك من فتاة ماهرة في تقريب القلوب وجمع العشاق... ما الذي حملك على الاعتقاد ان عملك هذا يغيّر شعور جيل نحوي؟

فبادرته الى القول:
ـ من يدري؟ قد تميز الفرق بينك وبينه... باري، على الأقل، لا يحاول ان يضحك عليها!
فاجابها والاهتمام باد على وجهه:
ـ وهل أنا اضحك عليها؟ يبدو لي انك تراقبين الأمور عن كثب. أهذا هو كل ما توصلت الى معرفته؟
فقالت له:
ـ لم أتوصل الى معرفة شيء عنك لا تعرفه انت نفسك. فأنت تشجع جيل على الوقوع في غرامك لتشبع ذاتك المتعطشة الى العظمة، ثم تضجر منها حين تبدأ باظهار عاطفتها نحوك.
ـ هل هذا رأيك أم رأيها؟
ـ رأيي طبعاً. جيل لم تحدثني عنك ولا مرة واحدة... الا حين اخبرتني انك كنت متزوجاً.
ـ اذن يجب ان تحصلي على الوقائع كما هي. جيل فتاة حسناء، وكم سرّني ان اكون برفقتها طيلة الاسابيع التي كان ستيف غائباً فيها عن نيروبي. على اني لم أوفر لها اي سبب للظن بأني قد آخذها على محمل الجد!
ـ ألم تغازلها؟
ـ طبعاً، وقد توقعت ذلك، بل طلبته... اسوة بفتاة أخرى يمكنني ذكر اسمها!
فاحمرّ وجه سارة حياء وقالت:
ـ هنالك فرق بين حالي وحالها!
قال دون بدهاء:
ـ هذا صحيح. فأنت كنت تستعملينني لاثارة غيرة ستيف. أتظنين انني لم ألاحظ ذلك؟ والآن لا أعلم اين بلغت علاقتكما قبل ان تذهب الى كامبالا وتكون سبباً في قطعها. غير اني ادركت منذ البداية عاطفتك نحوه. وكما استعملتني، فكذلك استعملتك.

تحسبت اني اذا اظهرت ميلاً اليك، فقد تميل اليّ جيل. لكن المشكلة اني وجدت نفسي اغرق شيئاً فشيئاً في حبك. . . فانت فتاة رائعة يا سارة!

أوقعها كلامه في حيرة، فلم تعرف اذا كانت تصدقه أم لا. على انها شعرت ان كل ما قاله كان ينضح بالصدق، وانما رأي ستيف فيه هو الذي جعلها تغيّر رأيها الأصلي وتتخوف مقاصده ونواياه.

فسألت دون:

ـ وماذا نفعل الآن؟

اجابها:

ـ الأمر لك. اما رأيي أنا، فهو أن تستمري على ما أنت عليه.

فنظرت اليه نظرة حائرة وقالت:

ـ هل تعني بذلك أن نتظاهر بالحب حتى تتركك جيل وشأنك؟

ـ نعم، ولكن لن يكون هذا فيما يخصني تظاهراً. فانا اريدك حقاً. ولكن لا تقلقي. فأنا لن استغل الفرصة لصالحي.

وادركت ان هذا الحل يناقض ما طلبه ستيف منها، وهو ان لا تجعل دون يقف بينها وبين جيل، فقالت لدون:

ـ لا أريد ان اخاصم جيل.

ـ لا اظن ان ذلك سيحدث. . . جيل فتاة طيبة القلب، وهي لن تنقم عليك لأني مغرم بك. قد يتجرح شعورها في البدء، ولكن ذلك لن يدوم طويلاً. فهي كانت مستعدة للوقوع في غرام أحد ما حين وصلت الى هنا، وصادف انني كنت هذا الواحد.

فنظرت اليه سارة متسائلة وقالت:

ـ هل انت تحاول أن تقول لي شيئاً؟

ـ ما اريد ان اقوله لك هو ان عاطفتك نحو ستيف هي على الارجح مثل عاطفة جيل نحوي. ويا ليتني أعرف كيف يعالج ستيف أمره معك. وعلى كل حال، انت الآن بعيدة عنه، والفرصة سانحة لك للتغلب بسرعة على عاطفتك نحوه، خصوصاً بعد ان ادركت

كيف تطورت العلاقة بينه وبين ديانا.

وفكرت سارة ان دون يصدقها اذا انكرت وجود اية علاقة حب بينها وبين ستيف، ولكن ذلك لا يغير شيئاً في الوضع كما هو. فهو على حق في قوله ان في البعد جفاء. وقالت له:

ـ يخيل الي انك شجعت جيل على الوقوع في غرامك اكثر مما اعترفت انك فعلت. . . ولكن لا معنى لهذا الآن. . . . هل ستخبر ديانا بما اتفقنا عليه؟

فقال لها:

ـ ما الفائدة؟ فهي لا تهتم الا بأمورها الخاصة. والأفضل ان يبقى اتفاقنا سراً بيننا.

ورأت سارة ان بقاءه سراً بينهما هو لصالح دون. وشعرت انها ستندم يوماً ما على قبولها بذلك، ولكنها لم تستطع ان تعرف لماذا.

وكان الاسبوع التالي مليئاً بالسهرات والحفلات. ولما لم تكن سارة معتادة على حياة كهذه فقد وجدت نفسها مرهقة لكثرة ما قابلت من الناس وحضرت من مآدب وولائم. ولكنها في الوقت نفسه تمتعت بذلك كله لأنه صرف تفكيرها عن الامور الاخرى. وسرّها ان ترى جيل تميل اكثر فأكثر الى باري كلما ادركت انها لن تستطيع الفوز بدون. وكانت تخفي ألمها بافتعال المرح والسرور، فلا ينكشف الا حين لم يكن يراقبها أحد. وكانت سارة تشفق عليها لأنها وقعت في غرام رجل رأت فيه مثال الرجولة الكاملة، فاذا به لا يعدو كونه تمثالاً من طين.

اما فيما يتعلق بها فإن دون تصرف بلباقة أدهشتها وازعجتها في الوقت نفسه، لأنه كان تصرفاً غير اعتيادي أقرّ بميل متزايد نحوها. كانا يذهبان معاً الى كل مكان، مع جيل وباري احياناً، ووحدهما أغلب الاحيان، فلم يحاول مرة واحدة ان يغازلها. . .

ومع ان سارة لم تكن تريد ان يغازلها، الا انها شعرت بحاجة الى معرفة شعوره نحوها، هل هو لا يزال يجدها جذابة وفاتنة وحلوة

المعشر؟ وأقرّت سارة لنفسها بخجل وحياء انها لهذا السبب اشترت ثوباً جديداً. واظهر الثوب مفاتنها. اذ كشف كتفيها وجعل خصرها نحيلاً تحت نسيجه الحريري الناعم ولونه العنبري الغامق. وتمنّت ان يراها ستيف وهي ترتديه، فلا يعود يعتبرها فتاة صغيرة كما تعوّد ان يفعل...

واعتذرت ديانا. مرة اخرى عن الذهاب الى النادي في نهاية ذلك الاسبوع. فازدحم الأربعة في سيارة دون وساروا الى هناك. وكانت سارة قد التقت معظم أعضاء النادي واعتادت على جوّه، حين اتجهت هذه المرة نحو مائدة الطعام يرافقها دون ويتبعها باري وجيل. وكانت سارة تشعر ان ثوبها يحظى باعجاب الرجال والنساء جميعاً، مما بعث فيها الثقة بالنفس...

وحان وقت الرقص، فدعاها دون الى الحلبة ثم قال لها:

- هل انت سعيدة؟

- جداً. كلهم هنا لطافة وظرف.

- بمن فيهم أنا؟

فنظرت اليه من تحت جفونها وقالت:

- طبعاً.

قال لها دون:

- لقد حان لي ان اغيّر الصورة التي لك عني. فحين تقول فتاة لرجل وجهاً الى وجه انه لطيف ظريف، فهذا أمر خطير!

سألته قائلة:

- هل أنا جميلة؟

- أنت دائماً جميلة، وأما الآن فانت اكثر جمالاً!

- لماذا؟

- لأنك اصبحت تدركين امكاناتك، فتغيرت كثيراً في الاسبوعين الاخيرين يا سارة. ولا اريد ان أدّعي ان لي فضلاً على هذا التغير.

فابتسمت ابتسامة مثيرة وقالت:

- ليس هذا ادّعاء منك، بل هو الحقيقة. فلولاك ولولا ديانا، لكنت الآن في كامبالا...

فقال لها دون:

- دعينا الآن نخرج الى الشرفة.

فسارت الى جانبه من غير تردّد وهي تشعر كأنها تسير على غيمة. كان الطقس بارداً في الخارج، فأخذت ترتجف قليلاً حين وقفا معاً ينظران الى أضواء المدينة المنتشرة في الارجاء. وجذبها دون نحوه، وضمّها بين ذراعيه وقال:

- لم أعد اطيق الصبر.

واستولى على سارة شيء من البرودة «الهدوء». على الرغم منها. فقد كانت تريد ان تقع في غرام دون كما وقعت في غرام ستيف، اي على نحو مثير وموجع حقاً. ولكن ماذا تعرف عن الحب؟ هل يكون كما تخبرنا حتى الآن، وهو ان تعجب برجل ثم تنعم برفقته ومغازلته، وفي آخر الأمر تسرف في حبه حتى الرغبة الجامحة في امتلاكه؟ فاذا كان الامر كذلك فما شعرت به نحو ستيف لم يكن حباً، بل شعور فتاة مراهقة عادية. والدليل هو انها تغلبت على شعورها هذا بسهولة وسرعة.

ولما طال شرود ذهنها صاح بها دون:

- ما هذا؟ هل تشعرين نحوي بخيبة أمل؟

فأجابت مبتسمة:

- كلا. كيف يمكن لفتاة ان تخيب أملها فيك يا دون؟ فأنت الرجل الذي تحلم به كل فتاة!

فرمقها بنظرة غير اعتيادية وقال:

- أتسخرين بي؟

اجابته قائلة:

- كلا. وانا أريد ان اسألك عما تهدف اليه يا دون؟

وكانت يده حارة على كتفها وهو ينحني ليلامس شعرها، فقال:

- هو في الزواج بك يا سارة، ولكن ليس الآن. فأنا غير متأكد اني صرت قادراً على الوثوق بامرأة مرة ثانية. ولذلك فخير لنا ان نترك الأمور كما هي عليه الآن، حتى إشعار آخر. ألا توافقين؟

فأجابت سارة:

- نعم، واشكرك على صدقك. وفي ظني ان التأجيل في صالحنا معاً.

- اذن، اتفقنا.

قالت سارة:

- والدي سيعود من انكلترا بعد نحو اسبوع، وعلي ان أعود معه الى كامبالا.

فأجابها دون:

- سنتحدث عن ذلك في حينه، فكثير من الامور تحدث في أسبوع... لا تنسي، مثلاً، انك تغلبت على عاطفتك نحو ستيف في أقل من هذه المدة

صمتت قليلاً ثم قالت:

- نعم. ولكن أريد ان تعرف انه لم يكن بيني وبين ستيف أي حب... الا من جهته هو.

- ألم يغازلك مرة؟

- نعم، ولكن...

- اذن لم يكن الامر من جهته هو وحده... لا الومه، فأنا لم استطع ان أقاوم مغازلتك. وطوقها دون بذراعه وقال:

- انت ترتجفين من البرد، فهيا بنا الآن الى الداخل.

ودخلا الغرفة فاذا بهما وجهاً الى وجه امام رجل مديد القامة يرتدي سترة بيضاء، وعلى وجهه امارات القساوة. وشعرت بدون الى جانبها يتصلب ثم يتراخى، وسمعت صوته يقول:

- يا لها من مفاجأة يا ستيف. لم نكن نتوقع مجيئك الا بعد اسبوع.

فقال ستيف بلهجة جافة:

- بروس مادن قرّر اعفائي من العمل. فهو يظن ان الطقس هناك يفيد صحته بعد الحادث الذي أصابه.

- ومتى جئت؟

فأجابت عنه ديانا قائلة:

- منذ نحو ساعة... ثم عزمنا أن نحضر السهرة هنا. فهذه أول فرصة تتاح لستيف ليرى شيئاً من حياة المدينة بعد اسابيع من الانقطاع...

فقال لها دون:

- كنت تعتبرين هذا المكان بارداً كالقبر، فماذا غيّر رأيك بهذه السرعة؟

أجابته قائلة:

- الناس هم الذين يصنعون المكان يا عزيزي.

ومالت نحو ستيف وتابعت قائلة:

- كنا نتساءل أين ذهبت انت وسارة!

فقالت سارة:

- خرجنا الى الشرفة للترويح عن النفس قليلاً.

قال لها ستيف:

- بدون شملة على كتفيك المكشوفتين؟

والتفت الى دون قائلاً:

- كان عليك أن تنبهها يا دون.

فأجابه دون:

- الحق معك... لم أفطن الى ذلك الا منذ حين.

ونظر الى سارة وقال لها:

- ما رأيك بفنجان من الشاي الساخن يا عزيزتي؟

فأجابته قائلة:

- فكرة جيدة. هيا نحتفي كلنا بمجيء ستيف الى العالم المتمدن!

وازدحموا هم الستة حول مائدة واحدة وأخذوا يتحدثون. وكان

ستيف ينظر الى سارة نظرات لا تخلو من المعاني، فتضايقت من ذلك. وحين اقترح على الجميع النزول الى حلبة الرقص، رحبت بالفكرة وهي تعلم ما كان ينتظرها حين ينفرد بها وحده.

وقال لها ستيف وهو يراقصها:

- يا لك من فتاة عجيبة! اتتحولين من فرخ بطة الى اوزة في اسبوع؟...

فتمتمت سارة قائلة:

- هي عشرة ايام بالضبط.

وشعرت بأصابعه تغرز في ظهرها.

وقال لها ستيف:

- لا تبالغي في استفزازي... وما اشعر به الآن يدفعني الى القيام نحوك بعمل عنيف!

فابتسمت ببراءة وقالت:

- وهل يروق لي ذلك؟

وادرك ستيف انها تتحداه فقال غاضباً:

- كفى... ربما تعلمت الكثير في اثناء اقامتك مع آل ميلسون، لكن هذا الثوب الذي ترتدينه لا يجعلك [illegible]من من التأديب!

فواصلت تحديها له [illegible] مبالية بشيء. قالت:

- لعل [illegible] الآن يكون مشهداً استعراضياً رائعاً في حلبة الرقص هذه...

وتوقفت الموسيقى. فأمسكها ستيف من كتفيها بشدة ودفعها امامه وسط بقية الراقصين باتجاه البهو، ومن هناك الى الباب الذي دخلت منه مع دون منذ حين. وكانت الشرفة خالية، فأغلق ستيف الباب وراءه ونظر الى سارة وقال:

- الآن في وسعك ان تمزحي!

وفكرت سارة. وهي تتذكر آخر مرة عاملها هكذا. انها لم تكن يوماً أقل ميلاً الى المزاح منها اليوم... لم تكن خائفة منه، ولكنها لم

تستطع ان تحدد نوع الشعور الذي كان يختلج في صدرها تلك اللحظة. كل ما كانت تعرفه هو ان لا شيء تبدّل منذ رأته لآخر مرة، وانه لا يزال ينظر اليها نظرته الى فتاة مراهقة يستطيع ان يستبدّ بها ساعة يحلو له.

وقالت له ببرودة:

- انا لا ازال بغير شملة على كتفيّ!

فنزع سترته وألقاها على كتفيها، ثم أجبرها على النظر اليه وقال:

- اخبريني... ماذا بينك وبين دون؟

- لماذا لا توجّه اليه هذا السؤال؟

- اريد ان أوجّهه اليك أنت!

- هل تصدقني اذا قلت لك ان لا شيء بيننا على الاطلاق؟

- كيف لي [illegible] ذلك!

- اذن لن اقول لك شيئاً... ولكن مهما يكن هذا الذي بيني وبين دون، فهو من شأننا نحن الاثنين...

- ليس عندما يكون للأمر صلة بجبل... هل يسرّك أن تريها كيف تنتزعين دون بسهولة منها؟

- كلا، لا يسرّني ذلك على الاطلاق... ولكن ماذا اقدر ان أفعل اذا كان دون يفضلني على اختك؟

- تقدرين ان تفعلي شيئاً مهماً، وهو ان لا تشجعيه على التعلّق بك!

- يمكنك ان تحكم على الظاهر، ولكنك بعيد كل البعد عن معرفة الحقيقة الخفية... فهل يخطر ببالك للحظة أني ربما اكون مغرمة بدون!

وساد الصمت طويلاً قبل ان يجيب ستيف على كلامها هذا. وحين أجابها كان في صوته نبرة غير اعتيادية. قال:

- كلا، لا يمكن ان يخطر ذلك ببالي، وكذلك لا يخطر ببالي انك اصبحت تعرفين ما هو الحب. انت في الواقع تمرّين مع دون بالتجربة

ذاتها التي مررت بها معي!

فحدقت اليه وصاحت:

- معك أنت؟

فابتسم ابتسامة جافة واجاب:

- نعم، معي. فأنا أوّل رجل. عدا مستخدمي المركز. التقيته منذ ما يزيد عن سنة. وقبل ذلك كنت بدأت تشعرين بالحاجة الى اكثر مما يمكن للمركز ان يوفره لك... وكم راقك ان تشاكسيني يا سارة. بل كم كان يروق لك ان تخسري الى حدّ ما في مشاكستك لي. وما ذلك الا لأني أمثّل لك الشيء الوحيد الذي تفتقرين اليه في علاقتك بوالدك وبتيد، وهو الاثارة الحسيّة... ولا غرابة في ذلك ولا عار، وانما يجب ان لا تعتبري الاثارة والحب شيئاً واحداً!

وادركت سارة انها تقاوم الآن لانقاذ كبريائها او ما تبقى منها، فقالت:

- انا لا أعتبرها كذلك... انت تقول انني مغرمة بدون لا لشيء الا لأنه امتداد لما أجده فيك... قد يكون هذا صحيحا، الا انني تغيّرت كثيراً في شعوري نحوك منذ ذلك الحين. فلدون فضيلة ليست من فضائلك، وهي النزاهة. فهو لم يغازلني مرة رغم ارادتي!

فبادرها ستيف الى القول حانقاً:

- ولا انا فعلت ذلك رغم ارادتك... بل انت التي دفعتني اليه بتصرفاتك.

وأمسك ستيف يدها التي رفعتها دون عمد، وضمّها بين يديه وقال:

- هذا شيء بسيط لا يستحق كل هذا الاهتمام. كل ما أردته هو ان اجعلك تدركين ان مبادئي الخلقية خاصة بي، سواء أعجبك ذلك ام لا.

وافلتت منه وهي ترتجف، ثم قالت:

- شيء واحد ادركته تماماً، وهو انك اكثر تكبراً وعجرفة من أي

انسان عرفته في حياتي.

وصاحت في وجهه قائلة:

- دون يساوي ثلاثة رجال من أمثالك!

فانتفض غاضباً وقال:

- هل هو هكذا حقاً؟ اذن، لا شيء لي اخسره!

وأمسكها بيدين قاسيتين وضمّها الى صدره طويلاً. وحين أفلتها بادرته بالقول:

- انني أكرهك!

وصمت ستيف قبل أن يجيب قائلاً:

- يوما من الايام ستجبرينني على جرح شعورك كثيراً يا سارة. وعندئذ ستكون الخسارة عليك وعلي معاً... تحمّلت منك فوق طاقتي، واذا كان دون هو الذي تريدينه، فبارك الله لك فيه.

والتقط سترته التي كانت وقعت على الارض وقال لها:

- لندخل!

وكان الآخرون لا يزالون في صالون النادي، فرمقتها ديانا بنظرة استياء فيما لم يظهر من سواها أية بادرة.

وتمكنت سارة من قضاء السهرة بسلام. فرقصت مرة مع دون ومرة اخرى مع باري، وتجنبت حتى تبادل النظرات مع ستيف. وكان ستيف اكتفى بتسجيل موقفه معها، وهذا كل ما كان يبالي به في ذلك الحين. وبذلت سارة هي الاخرى جهدها للتظاهر بان الامر لم يعد يعنيها، فكانت تمرح وتقهقه كأن لا شيء يقلقها على الاطلاق. على انها حين آوت الى فراشها واخذت تفكر في نفسها أقرت بان ستيف كان على حق في شيء واحد، وهو انها لم تكن تعرف ما هو الحب، وهي الآن بدأت تتعلمه بألم ما بعده ألم...

ومرّت نهاية الاسبوع من غير حادث يذكر. كانت سارة تأمل بتسلّم رسالة من والدها يوم الاثنين، ولكن بريد ذلك اليوم كان خالياً الا من بضعة أسطر بعث بها تيد مع طائرة الصباح العائدة من

وفي تلك الاسطر قال لها تيد ان كل شيء «هادىء» في المركز بعد ان غادرته، وان كيكي وميمي كليهما يظهران دلائل الحزن لفراقها، وان بروس مادن تعافى من مرضه وقبل شاكراً قضاء اسبوع في كامبالا قبل ان يذهب الى مورشيسون فولز لتسلم منصبه الجديد هناك. وتمنى تيد على سارة ان تخبر ستيف بأن احد الحراس قبض على زمرة اخرى من اللصوص، وبذلك قوي الاحتمال باكتشاف منظمي اعمال التسلل والاعتداء...

وتسلّم ستيف الخبر باهتمام بالغ، وأعرب عن أمله بأن مثل هذه الوسائل المناقضة للقانون سيقضى عليها عاجلاً أم آجلاً، فلا يعود احد يعتدي على الأراضي الخاصة بصيد الحيوانات في كامبالا أو سواها. وعجبت سارة وهي تستمع اليه كيف ان رجلاً كهذا غارق الى أذنيه في اعمال دائرة صيد الحيوانات بمكر، ولم للحظة، ان يعيفها ويختار طريقة الحياة التي كان يتبعها دون وديانا ميلسون...

واصطحب دون سارة الى نزهة بالسيارة ذلك المساء. فاتجها غرباً في طريق يقع بين المزارع وبين حقول مقاطعة كيكيو التي كانت تعج بقوافل الرجال والنساء والأطفال والمواشي. وكان ذلك الطريق ذاته يقود الى كامبالا على بعد مئة وتسعين ميلاً، وهو الذي سلكته سارة منذ ثلاث سنوات حين رافقت والدها براً الى المركز هناك. ولعلهما سيعودان من هذا الطريق حين رجوعه من انكلترا بعد نحو أسبوع. فمن الممتع حقاً ان تتذكر ما اثارته فيها تلك الانحاء من مشاعر وهي بعد في السادسة عشرة من عمرها.

وسألت سارة دون:

- لماذا اخترت الزراعة يا دون؟

فأجابها دون وهما يمرّان بقطيع من الماعز:

- لم اخترها. كان في وصية والدي شرط، وهو ان نتابع العمل في المزرعة، وان يعيش هناك واحد منا على الأقل مدة لا تقل عن تسعة

اشهر في السنة.

- واذن فلا يتغير شيء ان رحلت ديانا لتسكن في مكان آخر، فيما اذا تزوجت انت.

- كلا. هل يزعجك اني تزوجت مرة؟

- لا، لا، ابداً. ولكني أتساءل احياناً اي نوع من النساء هي.

- سمراء. صغيرة وسمراء وشديدة الحيوية. كانت في العشرين، وكنت انا في الرابعة والعشرين حين التقينا. ثم بعد سنة من زواجنا افترقنا.

- اظن انها كانت تفضّل الحياة الصاخبة في تلك السنّ.

- نعم... وكانت أيضاً محبوبة من الجميع. ولكن المشكلة انها كانت تغار من ديانا حتى الموت. فلم تكن تطيق ان تراها تحظى بالاهتمام في المجالس. والرجل الذي تركتني لأجله تحبه ديانا قريب الشبه بها. وكثيراً ما اتساءل اذا كانت تزوجته لأنها بالفعل تحبه، او لأنها ارادت ان تبرهن لنفسها انها قادرة على انتزاعه من ديانا.

- واين هي الآن؟

- حين تمّ طلاقنا كانت تقيم في كامبالا.

وأسرع دون قليلاً في قيادة السيارة عندما خلا الطريق. وتابع كلامه قائلاً ببطء:

- ومهما يكن من امر، فانا لا ازال أنكر تشجيعي لجيل على الوقوع في غرامي. فهي تشبه زوجتي السابقة من بعض النواحي، ولكني تغلّبت على اعجابي بها منذ امد طويل...

فذكّرته سارة بقوله انه لن يثق بامرأة بعد تلك التجربة التي عاناها مع زوجته، فقال:

- نعم، قلت ذلك يوماً. ولكني كدت اقنع نفسي بأني قد اعود فأثق بالمرأة. الى ان لمحت وجهك حين وقعت عيناك على ستيف فجأة بعد عودته ليلة السبت. كنت على خطأ في رأيي بعلاقتكما... فأنت

مغرمة به يا سارة!

فاحمرت وجنتاها وصاحت.

ـ كلا!

قال لها:

ـ على الأقل امتدحيني على اني صادق في ما أقول وأفعل... لا تخافي، فأنا لم اغرق في حبّك بعد الى حدّ يجعلني أتألم فوق طاقتي.

فلزمت سارة الصمت طويلاً ثم قالت:

ـ نعم، هذا صحيح. ولم أدرك اني احبّه الى ان رأيته ثانية.

فقال لها:

ـ كنت تدركين ذلك ولكنك كنت تتهرّبين. فلو كنا نحصل على ما نريد لكنّا جميعاً في النعيم... واسمحي لي ان اطمئنك بأن ديانا لن تحصل على ستيف.

فقالت سارة:

ـ لن تحصل عليه؟

ـ نعم وجاء وقت كنت اظن انها مستعدة لتتحمل أي شيء لتصبح زوجة ستيف بورك. ولكن بعد أن رأيت ردة فعلها على طريقة حياته صرت اعتقد انه هو الذي يجب ان يقدم كثيراً من التنازلات ليحصل عليها.

ـ [illegible] المزرعة التي في جوركشير ولا [illegible]

ـ جيل هي التي تفكر في ذلك، لأنها تريد [illegible] في مكان ما. وانا شخصياً لا اظن ان هذا المشروع سيخرج الى حيز الوجود. فستيف ليس من النوع الذي يطيق المساومة.

فقالت له سارة:

ـ انت رجل قلّ مثيله يا دون. واني اتساءل لماذا لا اشعر نحوك الشعور ذاته الذي اشعر به نحو ستيف.

ولاحت ابتسامة خافتة على فم دون وقال:

ـ انت تشبهينه في كثير من النواحي... واذا كان عنده قليل من

الفهم، فانه يرى انك تكونين له زوجة كاملة الاوصاف. ولكن، مع الأسف، فالأمور لا تسير دائماً كما ينبغي.

وكان الوقت متأخراً حين عادا الى البيت. وكان ستيف على الشرفة مع ديانا، فراقب دخولهما. وعندما اقتربا اشار ستيف الى برقية على الطاولة وقال لسارة:

ـ هذه البرقية وصلت منذ نحو ساعة.

وكان على سارة ان تنحني أمامه لتلتقط البرقية، ففتحتها بسرعة والجميع ينتظرون بفارغ الصبر ان يعلموا محتواها. ولما رفعت رأسها، صاح بها ستيف:

ـ ماذا هناك؟

ـ هذه البرقية من والدي. تزوج هذا الصباح، وهو ينوي البقاء في انكلترا ويطلب مني اللحاق به.

وساد الصمت، فيما اخذ وقع المفاجأة يبدو جلياً على وجه سارة. وتقدم ستيف وأخذ البرقية من بين يديها المرتجفتين وقرأها سريعاً، ثم نظر اليها قائلاً:

ـ يقول في البرقية انه اتبعها برسالة مطولة.

ـ نعم.

تفوهت سارة بهذه الكلمة مستسلمة وجلست في أقرب مقعد، ثم تابعت قائلة:

ـ هل اخبر [illegible] بذلك يا ترى؟

فقال ستيف:

ـ اذا كان ينوي عدم العودة الى هنا على الاطلاق، فأغلب الظن انه اخبرهم... هل تريدين مني ان اتحرّى هذا الامر؟

فأجابته قائلة:

ـ لا لزوم لذلك... اذا كانت استقالته لم تصل اليهم بعد، فليس من اللائق ان يعلموا بها منك.

وصعب على سارة ان تستوعب تصديق الخبر... كيفما اصبحت

موطنها، فكيف تهجرها؟ وكيف من جهة اخرى يمكنها ان تبقى فيها تحت الظروف المستجدّة؟ فهي لا تملك اية مؤهلات تمكنها من ايجاد وظيفة يصح للمرأة ان تشغلها هناك. واذن، فما عليها الا ان تلحق بوالدها. وتمتمت قائلة:

ـ اظن انه يريدني ان اقوم بالترتيبات اللازمة لمغادرتنا كامبالا . . .

فقال لها ستيف:

ـ علينا الانتظار لنرى ماذا يقول في رسالته التي اودعها البريد. . . فلا ريب انها ستتضمن تعليماته اليك بهذا الشأن.

ونهض على قدميه وقال:

ـ عليّ ان اذهب الى المدينة. وسأمرّ على مكتب البريد لأرى اذا كان لك شيء هناك. . . وسأعود بعد نحو ساعة من الزمن.

وراقبته ديانا وهو ذاهب وعلى وجهها امارات الحيرة والتساؤل.

ثم التفتت الى سارة وقالت لها:

ـ يجب ان تبقي هنا عندنا، الى ان يتم تسوية كل شيء. . . هل كان عندك اي توقع لهذا الذي فعله والدك؟

فأجابت سارة قائلة:

ـ ذكر لي المرأة التي تزوجها في احدى رسائله منذ نحو اسبوعين. وهي ارملة عرفها لسنوات خلت. قبل مجيئه الى افريقيا. ولم يخطر ببالي انه سيتزوجها ويبقى في انكلترا.

فقالت لها ديانا:

ـ هناك رجال يعطون المرأة الأولوية.

ثم نهضت وتثاءبت وهي تحدق الى الفضاء قائلة:

ـ يبدو انها ستمطر قريباً. وارجو ان يلاحظ باري ذلك، فهو في نزهة مع جيل في مكان ما بين التلال.

وصدقت نبوءة ديانا. فما ان مضت ربع ساعة حتى انفتحت السماء وانهمر مطر غزير. وفي هذه الاثناء عاد ستيف من المدينة حاملاً عدة رسائل، فناول سارة احداها وخرج مع دون من الغرفة

ليتسنى لها ان تقرأ الرسالة وحدها.

ومما جاء في الرسالة:

لم اكن اتصور ان يحدث لي هذا الأمر. . . او انه سيعني لي اكثر مما تعنيه طريقة الحياة التي صنعتها لنفسي هناك في السنوات الثلاث الاخيرة. مولي ترافقني الى كامبالا. اذا طلبت منها، ولكني لا اريدها ان تبذل تضحية اخرى. فقد حان الوقت لأن يضحي احد بشيء من اجلها. . . كان لي دائماً ذكريات سعيدة عن بنستون، كما تعلمين، وحيث انها ليست بعيدة جداً عن وتدمور فقد أمكن من ايجاد وظيفة في سافاري بارك. وهذا ليس مثل افريقيا طبعاً، ولكنه بديل كاف عنها. وحين تصل هذه الرسالة اليك نكون تزوجنا. وسأبعث اليك ببرقية في يوم زواجنا لأننا انا ومولي نريد ان يكون لك نصيب من هذا الحدث. . . مولي تتطلع بفارغ الصبر الى لقائك بعد كل تلك السنين. . . فهي كانت تتمنى دائماً ان يكون لها ابنة. . .

انا طبعاً اخبرت رؤسائي في المصلحة بأني لن أعود الى وظيفتي. وقمت بالترتيبات اللازمة لقبض ما يستحق لي عندهم من المال. وفيما يتعلق بكامبالا، فلك انت ان تقرّري ما نريد الاحتفاظ به من أثاث المنزل. واتركي ما تبقّى للمدير الجديد الذي يخلفني. وهذا لن يأخذ وقتاً طويلاً، فبامكانك ان تغادري كامبالا في آخر هذا الشهر. وقد تفضّلين السفر بطريق البحر فاشتري ما تحتاجين اليه. . . حان الوقت لأن تبدأي الاهتمام بالثياب وما اليها. . .

وكانت سارة لا تزال جالسة والرسالة مفتوحة في يدها حين عاد ستيف الى الغرفة وقد بدل قميصه وسرّح شعره. فأشعل سيكارة وقال لسارة:

ـ والآن، ما رأيك؟

فأجابته قائلة:

ـ سأسافر الى انكلترا وأقضي وقتاً سعيداً هناك. . . واذا كانت الطائرة ستقلع الى مارا غداً فسأستقلّها لأقوم بتدبير الامور في كامبالا

ما دام بروس مادن هناك. فأنا لا اريد ان اتطفّل على الرجل الجديد الذي سيتولى الادارة... هذا اذا تمكنت المصلحة من تعيينه في وقت قصير.

فقال لها:

- عيّنته... وسأقود سيارتي في طريق العودة الى كامبالا في نهاية الاسبوع، وبامكانك ان ترافقيني.

فحدقت اليه وقالت:

- انت لا تضيّع وقتك!.. أليس لهذا الغرض ذهبت الى المدينة، فتتأكد ان لا احد سبقك الى احتلال المنصب... كان عليك ان لا تقلق، فكامبالا مكان ناءٍ لا يطمح اليه الا القليلون.

- لا تتسرعي في الاستنتاج. كل ما في الامر ان المصلحة طلبت مني ان استمر في تصريف الاعمال هناك، امّا لمدة قصيرة او لمدة طويلة. هذا يعود اليّ فتسلّل اللصوص الى املاك المصلحة هناك اصبح خطراً جداً بحيث يجب ان لا يترك المركز من غير مدير.

وفكرت سارة ان هذه المسألة رهن بمشيئة دينا فهي لا ترضى بأن تقيم في مكان ناءٍ مثل كامبالا. غير ان ذلك لا يعني انها لن ترضى بترتيب آخر يوافقها، وفي هذه الاثناء ينتظر ستيف في كامبالا. ويبدو لسارة ان رغبة ستيف في ان يصبح مزارعاً لم تعد واردة...

فقالت له:

- ارجو المعذرة، فأنا اشعر بشيء من القلق والاضطراب.

قال ستيف:

- هذا متوقع... هل تظنين انك ستحبّين الاقامة في انكلترا؟

- لماذا لا؟ فوالدي هناك.

- اهنئك على ولائك العائلي. طبعاً لكل انسان الحق في ان يقرر مصيره. هذا ليس موضع جدل، وانما موضع الجدل هو طريقة التقرير... كأن يلقي والدك على كاهلك مهمة القيام بكل التدابير المتعلقة بمغادرة كامبالا... وعلى كل حال، هل فكرت في امكان

البقاء هناك؟

فقالت له:

- كيف؟

- في استطاعتك ايجاد عمل. فمصلحة الصيد قد تساعدك على ذلك..

- لا. لا. لا اطيق الجلوس وراء الطاولة بين اربعة جدران أملأ الاستمارات...

- قد يكون هنالك وظائف من نوع آخر...

- على كل حال، لا اريد منك ان تتحمل مسؤوليتي من الآن فصاعداً. فذلك بالفعل انتهى منذ جئت الى نيروبي.

- كلا، ما دام الذين استضافوك اصدقاء لي. مسؤوليتي لا تنتهي الا حين تستقلين الباخرة او الطائرة او اي شيء آخر...

وتحرك ستيف في مكانه فجأة وقال:

- سنغادر نيروبي الى كامبالا يوم الجمعة صباحاً. وقبل ذلك الحين سأحجز لك مكاناً في احدى البواخر المسافرة عند آخر الشهر. هل توافقين؟

فأجابت قائلة:

- كل الموافقة... وسأحاول ان لا اقف في طريقك.

فابتسم ساخراً وقال:

- انا متأكد من ذلك!

وسمع ستيف هدير سيارة قادمة فصاح:

- هذه جيل قد عادت.

وبعد دقائق دخلت جيل ضاحكة وثيابها مبللة بالمطر الذي انهمر عليها وعلى باري، عندما كانا بعيدين عن السيارة، هناك بين التلال...

٨ـ مصير الغزال

وفي فجر يوم الجمعة غادر ستيف وسارة الى كامبالا، في الطريق التي سارت عليها سارة مع دون قبل ذلك بأيام.

ونهض دون وجيل باكراً لتوديع ضيفيهما. ولكن ديانا تأخرت الى اللحظة الاخيرة. ثم خرجت من غرفتها وهي ترتدي رداء أسود مطرزاً بلون ذهبي يلائم قامتها الهيفاء.

وكان تقرّر في أواسط ذلك الاسبوع ان ترافق ديانا جيل الى مومباسا في طائرة بعد الظهر. وذلك بالرغم من انه لم يكن معروفاً كيم

ستبقى جيل في ضيافة آل ميلسون، ولا لأي سبب كانت ستستقل الطائرة. وتساءلت سارة بينها وبين نفسها اذا كانت ديانا تحاول بذلك ان ترى ستيف انها لن تجلس بانتظاره الى ما شاء الله. وانها لذلك

عزمت على الذهاب الى مدينة الساحل للترويح عن النفس. فاذا كان ذلك هو مطلبها. فانها لم تحصل منه على شيء، لان ستيف لم يظهر أية مبالاة. ورأت سارة ان المسألة بين ديانا وستيف لم تكن على الأرجح الا من قبيل العضّ على الأصابع. فمن سيصرخ أولاً؟ هي أم ستيف؟ بالطبع ليس ستيف فمهما تكن رغبته في الحصول على ديانا، الا انه لن يسمح لأية امرأة ان تفرض شروطها عليه في مثل تلك الطريقة.

ولم يشعر ستيف بميل الى الكلام في المرحلة الاولى من الرحلة. فعمدت سارة الى تركيز انتباهها على المشاهد الطبيعية الساحرة وكأنها تراها لأول مرة. وكان ستيف حجز لها مكاناً في باخرة ستترك مومباسا بعد أسبوع. ولكن كان عليها قبل ذلك بيوم واحد ان تستقلّ الطائرة من ملوا الى مومباسا لقضاء ليلة مع جيل. أما من اليوم الى ذلك الحين فلم يكن لديها ما تعمله، وهي لم تشأ ان تفكر في أمر كهذا الآن.

وتساءلت سارة كيف تلقّى نيد نبأ عدول صديقه ديف عن العودة الى عمله في المركز. وما اذا كان سيبقى هناك تحت امرة ستيف اذا قرّر هذا الأخير ان يتولّى مهمة الادارة الى حين. فكامبالا كانت مكان اقامة نيد اكثر من عشر سنوات. ولم يكن من السهل عليه في نظر سارة ان يقتلع جذوره في تلك المرحلة من عمره. هذا مع العلم ان سارة كانت تعلم ان ستيف يضيق ذرعاً بتصرفاته اللامسؤولة ازاء حياته وعمله. واذا كان والدها عطف على نيد فلأن الرجلين كانا متشابهين من عدة وجوه. وهذا لم يكن واقع الحال بينه وبين ستيف.

وتراجعت الحقول شيئاً فشيئاً وراء السيارة وحلّ مكانها المزارع المسيّجة. ثم السهول الفسيحة التي وراء وادي رفت العظيم ومناظر الجبال الممتدة في الأفق البعيد. واخذت المخلوقات البرية تظهر على الطريق، كالزرافات والبقر الوحشي وقطعان الزيبرا وما الى ذلك. وتوقف ستيف وسارة لتناول طعام الغداء، ثم بلغا ناروك وهي آخر

مستوطنة بين ذلك المكان وبين كامبالا .

وكان هناك جماعة من المارين قاعدين على العشب خارج الحانوت، يفرغون الأصداف بابتهاج. فتوقف ستيف لتحيتهم وصافحهم واحداً واحداً من نافذة السيارة. وحين تابعا سيرهما استعاد ستيف بعض مرحه وميله الى الكلام.

فقال لها بعدما دخلا الأراضي الخاصة بالصيد والتابعة للمركز:

- بعد ساعتين سنصل.

وحين لم يتلقَّ جواباً منها، نظر اليها وقال:

- أمتعبة انت؟

فأجابته سارة:

- قليلاً. واني انتظر وصولي الى البيت بفارغ صبر.

قال لها:

- سيبقى ذلك البيت في كامبالا بيتك الى ان تغادريه... واليوم لن نفكر في هذا الامر، بل دعينا الآن نأمل ان يكون مزاج ماسوي رائعاً هذا النهار، والا فيكون طعام العشاء الذي أعدّه غير لذيذ.

فضحكت سارة وقالت:

- وهل تأمل ان يكون بخلاف ذلك؟ هؤلاء القوم لا يعرفون الا القليل جداً من أنواع الطعام. فلو تركوا من غير توجيه لكرروا النوع ذاته يوماً بعد يوم... وعلى كل حال، ارجو ان لا يتركك ماسوي ورفيقه، لأني اعلم انهما يتوقان الى الذهاب لزيارة الاهل.

فقال ستيف:

- هما مشتاقان الى زوجتيهما، وهذا أمر طبيعي. ليتنا نجد مكاناً قريباً نحصل فيه على خدم لنا.

وفيما السيارة تقترب بهما الى المنحدر لتنعطف من هناك باتجاه المركز، ظهرت لهما السهول على مدّ النظر، وكذلك البحر الذهبي وأمواجه المزبدة. وكانت الشمس آذنت بالمغيب حين بلغا النهر تاركين المنحدر وراءهما، فعبرا الأدغال الى كامبالا التي بدت امامهما

كعهدهما بها من قبل.

وكان تيد في استقبالهما حين توقفت بهما السيارة امام المنزل، فقال:

- ارجو ان تكونا تمتعتما بهذه الرحلة.

فأجابه ستيف:

- لا بأس بها.

ونزل من السيارة وتمطّى قليلاً قبل ان يلتفت الى سارة ويدعوها الى كأس من العصير.

فقالت له:

- دعني أغتسل اولاً.

فعمد ستيف الى اخراج الحقائب والامتعة من السيارة، يساعده على ذلك تيد.

وكان تيد هو الذي حمل حقائب سارة الى غرفتها، فوضعها على سريرها ونظر اليها مبتسماً وقال:

- مضى زمن كنت تضعين فيه كل امتعتك في حقيبة صغيرة واحدة... اما الآن فصرت تعرفين كيف يعيش الآخرون في المدينة.

- لك ان تقول ذلك يا تيد... والآن هل قررت ماذا ستعمل بعد ان استقال والدي من عمله هنا؟

- هذا يتوقف على المدير الجديد. فنحن لم نكن دائماً على اتفاق في الرأي بخلال الأسابيع القليلة الماضية، والانسان يحتاج الى الانسجام ليتحمل الحياة في مكان كهذا... قد أنزل الى الساحل واشترى لي مركباً رخيص الثمن واقوم بعمل تجاري بين الموانىء. فعمل كهذا يدرّ ارباحاً لا يستهان بها.

فقالت له سارة:

- لا اعرف عنك انك على علم بشؤون البحر.

أجابها قائلاً:

- لا احتاج الى مثل هذا العلم لأتجول على طول الساحل. تكفي

خبرتي بالتجارة، وان كنت لم امارسها منذ زمن بعيد.

واخذت سارة تفكر في امر تيد بعدما غادر الغرفة. وخيل اليها ان حديثه عن المتاجرة على الساحل لم يكن الا من قبيل الكبرياء وعزة النفس. والحقيقة هي انه لا يريد ان يهجر المكان الوحيد الذي اعتاد عليه واتخذه موطناً له، وعلى ستيف ان يتفهم هذه الحقيقة...

وظهر كيكي في النافذة المفتوحة وهو يصفق ويرقص طرباً، ثم لم يلبث ان دخل من بين القضبان وأمسك بذيل قميصها. فقهقهت ضاحكة وارتمت على سريرها تداعبه الى ان تعب، فراح يتفحص حقيبة يدها بشغف بالغ...

واخذت سارة تراقبه وهو يخرج أصبع الحمرة من الحقيبة. فخطر لها عندئذ انها ستتركه في كامبالا، في جملة ما ستتركه هناك عند سفرها الى انكلترا. فلم يكن يسمح لركّاب الباخرة ان يصطحبوا حيوانات داجنة. بل حتى لو سمح لها باصطحاب كيكي، فان الاعتناء به طوال مدة الرحلة لم يكن بالعمل السهل، ناهيك باختلاف المناخ بين كامبالا وانكلترا. وسالت دموعها لهذا الخاطر الذي مرّ ببالها، فمسحتها في الحال وأبت نفسها على الاستسلام الى عواطفها عبثاً. ففي الاسبوعين القادمين يجب عليها ان تقسّي قلبها وتتظاهر بأنها لم تكن تبالي بمغادرة كامبالا، لئلا يدرك ستيف حقيقة شعورها.

وكان ماسوي في مزاج رائق، على ما بدا من بذله الجهد في اعداد طبق لذيذ من الطعام مؤلف من اللحم والخضار. وبعد الانتهاء من تناول الطعام قال ستيف لسارة:

- ليتك تهيئين لماسوي قائمة بأطباق الطعام التي يمكنه ان يتقن طهيها. وبذلك تسهل الحياة هنا وتستحق ان تعاش.

فقالت له سارة:

- لم اكن اعلم بانك تهتم بالطعام الى هذا الحد... فلا والدي ولا تيد يباليان بما يأكلان.

وقال تيد:

- كيف للشحاذين ان يختاروا بين هذا اللون من الطعام أو ذاك!

ونهض على قدميه مستأذناً بالانصراف الى غرفته للنوم باكراً...

وساد الصمت بعد ذهابه. كانت سارة جالسة ورأسها يستند الى ظهر الكرسي، تراقب النجوم التي كانت تلمع بين الغيوم. وكانت القرود في هرج ومرج بحيث اغرقت اصواتهم كل صوت آخر.

وفكرت سارة ان نيروبي على كونها مدينة ممتعة لا تقاس بكامبالا من حيث الطمأنينة والصفاء. فجذوة عاطفتها نحو ستيف ستخمد مع الايام، ولكن جزءاً من حياتها سيبقى هنا في كامبالا.

وقالت لستيف:

- اشعر بالتعب، فالافضل لي ان آوي الى فراشي.

فأجابها متهكماً:

- الساعة لم تبلغ العاشرة بعد. ولكني لا استغرب ان تعودي الى عاداتك القديمة، حين لم يعد الآن احد تحاولين التأثير عليه...

وكان في نبرة كلامه هذا ما جعلها تقول له بخشونة:

- العادات تتغير بسهولة اكثر مما يتغير الناس...

قال لها منتقداً:

- كنت فيما مضى مستقيمة في آرائك وتصرفاتك، اما الآن وقد تعلّمت شيئاً من اساليب الحياة المتمدّنة فانك اصبحت كسائر بنات جنسك.

فقالت له:

- هذا ما أرجوه!

ونظر ستيف اليها نظرة سريعة وقال:

- قد تكونين على حق... والآن دعينا نفسح مكاناً للسلام بيننا.

وفكرت سارة ان هذا الهدف اذا تحقق فلن يدوم طويلاً. والدليل على ذلك ما جرى بينهما في الدقائق الاخيرة. فكلما تحدثا معاً تكررت المعركة الكلامية نفسها. فعلى من اللوم؟ لم تكن تدري، ولكن المهم انها هي وستيف لا ينسجمان الواحد مع الآخر.

وسألت ستيف قائلة:

ـ ماذا ستفعل بخصوص تيد؟

فأجابها بغموض:

ـ ماذا ينتظر مني ان افعل؟

فقالت وقد ندمت على انها فتحت هذا الموضوع في تلك المناسبة:

ـ تيد يظن انك تنوي استبداله.

ـ اهكذا يظن؟ اذن، فانت تستعدين للدفاع عنه. . .

ـ كلا، فهو لا يحتاج الى من يدافع عنه. كل ما في الامر هو انني اعتقد ان من حقه معرفة مصيره. . .

ـ نعم، من حقه هو ان يعرف لا انت. . . الى ان يخبرك هو بنفسه.

وكان ستيف محقاً في موقفه هذا. ولكن ذلك لم يكن يقدم او يؤخر في ردة فعل سارة التي لم تكن تتفهم هذا الجانب من الموضوع. فلا عجب اذن ان تجيبه ببرودة:

ـ انا آسفة لاضطراري الى تركك تكمل السهرة وحدك.

ونهضت متجهة نحو الباب. ولكنها ما ان بلغته حتى صاح بها ستيف قائلاً:

ـ هناك حدّ لطاقة الانسان على الاحتمال، وطاقتي بلغت هذا الحد. وكنت آمل ان نتوصل الى التفاهم في غضون الاسبوع القادم، والآن تبين لي ان املي بعيد التحقيق. . . ولعلك اذا اقلعت عن محاولة ايجاد نقص في كل ما اقوله، فذلك يكون خيراً لنا.

وغالبت سارة رغبتها في القاء كل تحفظ جانباً والارتماء بين ذراعي ستيف ملتمسة منه ان يدعها تبقى في كامبالا. ولكن كيف تنتظر منه ان يفهمها في حين انها لا تفهم نفسها؟ كانت تحبه، ولكنها كانت في الوقت نفسه تشعر برغبة جامحة في مهاجمته وجرح شعوره.

قالت له:

ـ اظن انك على حق في قولك ان الأمل يبدو ضئيلاً.

فلم يجبها بشيء، وهي تخرج من الباب الى الداخل.

وما اطل الصباح حتى كانت سارة توصلت الى قرار. ان استمرار العلاقة على ما هي عليه بينها وبين ستيف اسبوعاً آخر امر لا يمكن احتماله. ولذلك رأت انه خير لها ولستيف معاً ان تنتقل الى الفندق في نيروبي بانتظار موعد سفر الباخرة.

على انها عزمت ان لا تخبر ستيف بخطتها هذه. فهو ولا شك سيمنعها عن تحقيقها. فالأفضل اذن ان تعدّ العدة لمغادرة المنزل سراً.

وكان ستيف ترك المنزل حين خرجت الى الشرفة. ولكن تيد انضم اليها وشاركها في تناول طعام الفطور. وكان مرحاً في ذلك الصباح كعادته في سالف الايام. وقال لها:

ـ اراك اكتسبت عادات سيئة في غيابك. . . فانت عادة تبكرين في النهوض صباحاً.

فأجابته سارة:

ـ كنت تعبة من السفر، وقبله من السهر المتواصل في المدينة.

ونظرت اليه عبر المائدة وقالت:

ـ هل فكرت في ما أخبرتني به الليلة الماضية؟

فهز رأسه وابتسم قائلاً:

ـ كنت كمن يجتاز الجسر قبل الوصول اليه. . . فبناء على كلام ستيف هذا الصباح سابقى في وظيفتي هنا وقتاً طويلاً. وقد يزداد تفاهمنا الآن بعد ان اصبح مديراً دائماً.

وهمّت سارة بالقول ان ستيف ليس مديراً دائماً، ولكنها احجمت عن ذلك لأنها لم تكن تعلم حقيقة الأمر. هل هو مدير مؤقت ام لا؟ حتى ستيف نفسه لم يكن متأكداً بعد. وتساءلت اذا كان ستيف حدّد لنفسه وقتاً لمعاودة الحوار معها، ام انه ينتظر ان تبدأ هي بالحديث معه عن ايجاد قاسم مشترك بينهما. . .

وشرعت سارة بترتيب حقائبها وحزم أمتعتها بعدما تناولت طعام

الفطور. وطلبت من نجوروجي ان يأتيها بصناديق فارغة لتعبئة كتب والدها واوراقه الخاصة. وما ان جاءت الظهيرة حتى كانت الرفوف خالية، والغرفة عارية الا من بعض الصور المعلقة منذ سنين على جدرانها وبعض البسط الجلدية العتيقة التي لم تتصور سارة ان مولي سترضى باستعمالها، فضلاً عن الستائر وأغطية الوسائد.

وفيما هي راكعة على ركبتيها تنظر في كدسة من الاسطوانات، دخل ستيف عائداً من عمله في الساعة الرابعة. ووقف في الباب يجيل النظر في الصناديق المليئة بالكتب والاوراق، ثم قال لها:

ـ يا لك من فتاة مجتهدة! ولكن كيف ستقضين ما تبقّى من الاسبوع؟

فأجابته من غير ان تتطلع اليه:

ـ لم انته من عملي بعد... هل تحتاج هذا الفونوغراف لأتركه لك؟

فأجابها قائلاً:

ـ لماذا لا؟ فهو يساعدني على ملء الفراغ حين لا يبقى عندنا، انا وتيد، ما نتحدث به. ثم تقدم الى داخل الغرفة:

ـ تتهيأ القبيلة للرحيل في الصباح. فاذا شئت ان تودّعي معاري وزوجاته، فأنا مستعد ان آخذك بالسيارة الى هناك.

اجابته قائلة:

ـ هم لا يحبون الوداع!

ـ كما تريدين.

قال ذلك بنبرة لا مبالية. فهو قد حاول ان يقوم بواجبه، وهذا كل ما كان يهمه من الأمر. وبعد قليل خرج من الغرفة.

وما ان جاءت ليلة الأحد حتى كانت سارة انهت كل ما كان عليها ان تفعله. فالصناديق كانت مقفلة ومعنونة ومهيأة للشحن على متن الطائرة المسافرة يوم الجمعة.

وكانت تلك الليلة طويلة لا تحتمل. فبعد تناول طعام العشاء

حاولت ان تطالع كتاباً، غير ان الكلمات كانت تقفز امام عينيها. وكان في وسعها ان تسمع صدى الحديث الذي كان يتجاذبه ستيف وتيد على الشرفة. ولكنها لم تشعر بميل الى الانضمام اليهما خوفاً من ان تفضح امرها بكلمة او باشارة.

وفكرت سارة ان تلك هي المرة الاخيرة التي تجلس فيها هكذا في هذه الغرفة وتسمع الاصوات المألوفة التي تهيم هناك خارجاً في الظلام. فغداً في مثل ذلك الوقت تصل الى نيروبي وتنزل وحدها بالفندق لقضاء اربعة ايام اخرى. ولكن اي شيء على الاطلاق كان في نظرها افضل من البقاء هنا في كامبالا.

وعاد ستيف بعد قليل ليملأ كأسه وكأس تيد، فرمقها بنظرة عابرة وقال لها:

ـ ماذا تريدينني ان افعل بالغزال؟ هل أرسله الى حديقة للحيوانات؟

فاستاءت من كلامه وقالت:

ـ لا، اياك ان تفعل!

ـ قد اضطر الى مثل هذا التدبير لأن الغزال لا يزال صغيراً جداً، ولا يمكن اطلاق سراحه في البرية، خصوصاً وانت عوّدته على الاعتماد عليك. فمن الخطأ ان يسمح للحيوانات المتوحشة ان تصبح أليفة اكثر مما ينبغي.

قالت سارة:

ـ لماذا لا يبقى هنا في المركز؟ فهو لا يزعج احداً، وتيد يتولّى الاعتناء به.

فأجاب قائلاً بنبرة قاسية:

ـ لتيد ما يشغله عن هذه المهمة!

قالت بصوت خافت:

ـ الاعتناء بغزال صغير لا يأخذ شيئاً من وقته... فهل تريدني ان أتضرع اليك يا ستيف؟

فأجابها قائلاً بتهكم:

- يكون ذلك حدثاً لا مثيل له اذا فعلت! ولكني أؤكد لك اني لا افكر الا في مصير الغزال.

ولما تطلعت اليه تلاقت نظراتهما، فقالت:

- اذن، فافعل ما تراه حسناً. فالحيوان في واقع الأمر لم يعد موضع اهتمامي . . . والآن هل هناك ما تريد ان تبحثه معي؟

فتقدم ستيف نحوها قليلاً وقال بعصبية:

- كلا، لا شيء على الاطلاق!

وحمل الكأسين وأسرع الى الشرفة. اما سارة فلم تبد حراكاً، وتمنت لو ان الغد يحل قريباً.

وانهمر المطر غزيراً تلك الليلة. ولكن الصباح انجلى عن سماء صافية ونسيم عليل. وانتظرت سارة الى ان ذهب ستيف، فخرجت من غرفتها وأصغت الى صوت محرك سيارته يبتعد شيئاً فشيئاً ولاحظت انها لم تحسّ بشيء من العاطفة.

وكان تيد بدأ عمله. فتناولت طعام الفطور وحدها وهي تفكر بالمغامرة التي ستقوم بها. ولم تشعر بالقلق، لأنها ما ان تصل الى ناروك حتى يسهل عليها مواصلة الرحلة الى نيروبي.

وكان اللاندروفر الذي اختارته متوقفاً عند أول الطريق. وعند الساعة الثامنة والنصف، بعد ان تأكدت ان تيد ابتعد الى مسافة لا تمكنه من سماع صوت محرك السيارة، خرجت من المنزل بحذر شديد وهي تحمل الحقيبة التي تحتوي كل ما تحتاج اليه في اثناء الرحلة، ووضعتها في مؤخر السيارة بحيث بقي مكان للغزال. وذهبت وجاءت به سريعاً ووضعته هناك. أما ماذا ستفعل به حين تصل الى نيروبي فسؤال ارجأت الاجابة عليه الى حينه. ولعل دون سيساعدها فيحتفظ به في المزرعة. فهناك مجال واسع لأقامته والعناية به.

ولم يكن احد على مشهد منها حين صعدت الى السيارة وجلست

وراء المقود. وأدارت المحرك واتجهت نحو المدخل وهي غير مبالية الآن اذا ما شاهدها احد، ولاسيما ستيف. فهو لا بد ان يعتقد انها ذاهبة كعادتها الى البرية، فلا يعرف الحقيقة الا بعد ان يدخل الى غرفته ويجد الرسالة التي تركتها له فوق المخدة على السرير.

واذا كان هنالك من شيء اسفت له كل الأسف فهو انها لم تتمكن من وداع تيد الذي تكنّ له مودة خاصة. فهي اذا اعلمته بهربها فلا بد ان يخبر ستيف في الحال ليحول بينها وبين تنفيذ خطتها.

واستغرق وصولها الى المنحدر اكثر من ساعة كانت فيها الشمس بلغت ضحاها وبدأ الهواء يصبح حاراً في داخل السيارة. وتوقفت سارة قليلاً لتسقي الغزال من وعاء جلبته معها. ثم فكرت انها اذا حافظت على سرعة سيرها فانها تصل الى نيروبي قبل حلول الظلام. هذا اذا لم يطرأ أي طارىء فيصبح امامها ان تختار بين الذهاب رأساً الى المزرعة مع الغزال، او ترك الغزال في السيارة خارج الفندق الى صباح اليوم التالي.

وبعد مسيرة نحو أربعين دقيقة لاحظت غباراً يرتفع في الطريق وراءها. فلا بد ان يكون القادم مسرعاً جداً لا يهاب اية عثرة في طريقه. خفق قلبها خفقاناً شديداً حين جزمت بينها وبين نفسها ان القادم لا يمكن ان يكون غير ستيف يورك.

وزادت سارة سرعتها الى اقصى حد ممكن، ولكن ذلك لم يجدها نفعاً اذ لم يلبث ستيف ان لحق بها وارغمها على التوقف. ولما توقفت نزل مسرعاً من سيارته وسار بخطى واسعة نحوها وصاح بها:

- ماذا تحاولين ان تفعلي؟ أتقتلين نفسك!

فأجابته بضراوة:

- كان عليك ان لا تطاردني!

فحدق اليها وقال:

- تعالي. احملي هذا الغزال الى سيارتي وانا اجلب بقية أمتعتك.

فصاحت قائلة:

- لن أعود معك الى كامبالا!
- لن تعودي؟
- كلا، لن اعود. فانا غير مستعدة لقضاء اربعة أيام أخرى كاليومين الماضيين... دعني اكمل طريقي!
- الى اين انت ذاهبة... الى دون؟
- ما لي ولدون؟ ليتني لا أراه هو الآخر بعد اليوم. انا ذاهبة الى نيروبي لأني لم اعد اطيق البقاء معك تحت سقف واحد، ولأني كرهت حتى الموت معاملتك لي كفتاة قاصرة لا تعرف شرقها من غربها... فأنت منذ اليوم الاول تضطهدني وتستهزىء بي... الويل لديانا اذا تزوجتك، مع ان هذا لن يكون لأن لها كرامتها ولا تطيق الاستبداد والطغيان... بل ستجد لها رجلاً يحترمها ويشعر نحوها بشيء من الحنان... أنت لا تريد زوجة، بل ممسحة!

وكان ستيف واقفاً يصغي الى هذا السيل العارم من الكلام، فلما فرغ صبره قال لها بهدوء:

- كفى، انك تكررين كلامك.

فنظرت اليه، واذا بملامحه قد تغيرت وشفتيه تفرجان عن ابتسامة صارخة وهو يقول:

- الآن عرف كل منا موقفه الصحيح من الآخر!

واحمر وجهها حين ادركت انها كشفت عن حقيقة شعورها نحوه. فما كان منها الا ان التفتت نحوه وصاحت قائلة:

- اذهب... اذهب عني ودعني وشأني!

فأقبل عليها وأخذها بين يديه وقال لها:

- لم يعد امامك مجال للتراجع... من قال لك ان ديانا هي التي أريد؟

فحدقت اليه حائرة وقالت:

- هذا واضح لا يحتاج الى دليل!

قال لها:

- ليس واضحاً لي... انت لن تذهبي الآن الى انكلترا يا حبيبتي، الا حين نذهب معاً.
- اهكذا تقول؟
- نعم. ستبقين في كامبالا وتحاولين الاستزادة من معرفتي.
- لماذا لم تخبرني ذلك من قبل... كنت في اليومين الاخيرين قاسياً جداً معي.
- ربما كنت مخطئاً في الاسلوب الذي اتخذته للفوز بك يا حبيبتي.
- آه، ستيف. ليتك تعلم كم احبك... منذ ايام قليلة تأكدت من ذلك، واريدك من الآن فصاعداً ان تعاملني كامرأة ناضجة.
- توقفت عن النظر اليك كفتاة صغيرة منذ تلك الليلة التي رأيتك فيها بصحبة دون... ففي تلك المرة لم تكوني فتاة صغيرة في شيء.
- ألهذا السبب بدأت تحبني؟
- بدأت احبك منذ وقعت عيناي عليك يا حبيبتي... فأنت دائماً كنت لي المرأة التي احلم بها ولم احظ بلقائها من قبل. والآن هل تقبلين الزواج بطاغية مثلي؟
- نعم، لأني اصبحت اعرف كيف اعالجه واعيش سعيدة معه.

فأخذها ستيف بين ذراعيه، ثم قال لها:

- هيا بنا يا حبيبتي!

وفي طريق العودة الى كامبالا جلست سارة الى جانب ستيف وهي لا تصدق انها ذاهبة الى بيتها، لا لتغادره هذه المرة بل لتبقى الى الأبد...